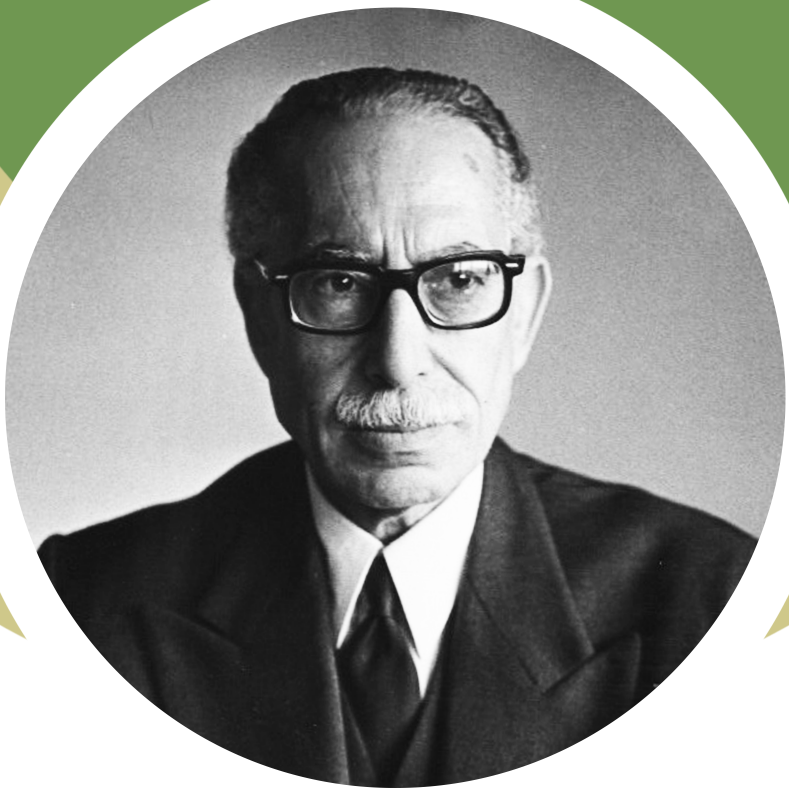

مجلس العدل

توفيق الحكيم

مجلس العدل

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

مجلس العدل

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٩٠٤ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

المحتويات

مجلس العدل	٧
تقرير قمري	٢٥
شاعر على القمر	٤١
بيان	٦٣

مجلس العدل

(هذا المجلس يُذكِّرنا ببعض المجالس الدولية، ويقوم على حكاية شعبية سمعتُها في الصبا، ولا أظنُّ أنها مكتوبة في كتاب، ولكنَّها قد تكون من الحكايات التي قام شعبنا بتأليفها في وقتٍ ما لستُ أدري تحت أيِّ ظروف، وقامت بنشرها الأفواه بعدئذٍ في كل زمان ... إنها قصة فرَّان نشأت بينه يومًا وبين قاضي المدينة صداقةُ مصلحةٍ ... وإليكم ما حدث ...)

(الفرَّان يلتقي بالقاضي وهو داخل إلى الجلسة.)

القاضي: ما لك يا صديقي الفرَّان؟
الفرَّان: أنقذني أيُّها القاضي!
القاضي: ماذا جرى؟
الفرَّان: الإوزَّة.
القاضي: أيُّ إوزَّة؟
الفرَّان: الإوزَّة المُحمَّرة التي أرسلتُ إليك نصفها أمس ...
القاضي: على فكرة ... كانت لذيذة الطعم، شهيَّة المنظر بدُهنها الوردي، ورائحة لحمها التي يسيل لها اللعاب!
الفرَّان: صاحبها جاء يطالب بها.
القاضي: أهذ ما يُزعِجك؟!
الفرَّان: ماذا أقول له؟
القاضي: قل له طارت.
الفرَّان: طارت؟! ... بعد أن أدخلتُها الفرن؟!

القاضي: وما له؟!
الفرَّان: وإذا لم يُصدِّق؟
القاضي: هاته لي.
الفرَّان: وهو كذلك.

(يفترقان ... الفرَّان يذهب من حيث جاء، والقاضي يدخل إلى جلسته ... بعد ساعةٍ، يأتي الفرَّان وخلفه جماعة من الناس يدفعون به إلى مجلس القاضي ... وهو يُدافِعهم ويُشاكِسهم في غير خشية ولا حياء ... حتى يمثُل بين يدي القاضي وهو يَصيح فيهم ويُبعدهم عنه.)

القاضي: ما هذا الشغب؟
الفرَّان: هذا الرجل يقول إني لص.
القاضي: مَن هذا الرجل؟
الفرَّان: رجل يزعم أني أخذت إوزَّته!
القاضي: تقدَّم يا رجل!
صاحب الإوزَّة: يا سيدي القاضي!
القاضي: من أنت؟
صاحب الإوزَّة: أنا صاحب الإوزَّة.
القاضي: هل كانت لك إوزَّة؟!
صاحب الإوزَّة: نعم يا سيدي القاضي ... وأخذها مني هذا الفرَّان وهي في الصينية، وأدخلها في فرنه أمامي ... وعندما طالبتُه بها، رفض ردَّها.
القاضي: ماذا قال؟
صاحب الإوزَّة: قال شيئًا لا يدخل العقل! ... طبعًا حجة مزعومة للاستيلاء على إوزَّتي.
القاضي: لا تتفلسف! ... قُل نَصَّ كلامه!
صاحب الإوزَّة: قال إنها طارت ... أتُصدِّق ذلك يا سيدي القاضي؟!
القاضي: وهل أنت لا تُصدِّق؟
صاحب الإوزَّة: لا طبعًا.
القاضي: هل أنت مؤمن بالله؟

صاحب الإوزَّة: مؤمن بالطبع.

القاضي: ألا تؤمن بقدرته؟!

صاحب الإوزَّة: طبعًا أُومِن.

القاضي: ألا يستطيع الله أن يُحيِيَ العظام وهي رميم؟!

صاحب الإوزَّة: يستطيع ... ولكن ...

القاضي: كفى! ... لا يوجد لكن ... إمَّا أنت مؤمن بالله وقدرته ... وإمَّا أنك كافر زنديق حلَّت عليك لعنته.

صاحب الإوزَّة: مؤمن بالله وقدرته.

القاضي: إذن، اعترِف أنه يستطيع أن يجعل إوزَّتك تطير من الفرن.

صاحب الإوزَّة: يستطيع ... ولكن ...

القاضي: اسمع، هي كلمة واحدة: هل تطير الإوزَّة بقدرة الله أو لا تطير؟

صاحب الإوزَّة: تطير.

القاضي: انتهينا.

صاحب الإوزَّة: لكن يا سيدي القاضي ... هذه الإوزَّة التي أعدَدتُها لطعامي وطعام أولادي، من يدفع لي ثمنها؟! ... هل يرضى الله أن تطير إوزَّتي وأتضوَّر أنا وأهلي جوعًا؟!

القاضي: هذه مشكلتك أنت مع الله ... وليس مع هذا الفرَّان!

صاحب الإوزَّة: سبحان الله! ... وثمن الإوزَّة ... من المسئول عنه؟! ... أليس هو الفرَّان؟!

القاضي: أتُطالِب الفرَّان بثمن الإوزَّة؟!

صاحب الإوزَّة: ومَن غيرُه أمامي أُطالِبه؟!

القاضي: يا رجل ... كُن منطقيًّا ... من الذي أَطَارَ إوزَّتك؟ ... الله أو الفرَّان؟!

صاحب الإوزَّة: والله يا سيدي القاضي ...

القاضي: لا تلف ولا تدور! ... تكلَّم بالعقل ... هل الفرَّان له القدرة على أن يجعل إوزَّتك تطير بعد تحميرها في الفرن؟!

صاحب الإوزَّة: لا.

القاضي: ومَن الذي يملك القدرة على ذلك؟!

صاحب الإوزَّة: الله.

القاضي: إذن، ما دام الله هو الذي أَطَارَ إوزَّتك، فكيف تسأل وتُطالِب الفرَّان؟!

صاحب الإوزَّة (في ارتباكٍ): لا أدري!
القاضي: اسمع يا رجل ... المحكمة ستُخفِّف عنك الحكم؛ مراعاةً لظروفك النفسية.
صاحب الإوزَّة: الحكم؟!
القاضي: ألم تسُبَّ الفرَّان قائلًا له يا لص؟!
صاحب الإوزَّة: إنه يا سيدي القاضي ...
القاضي: حكمت عليك المحكمة بجنيه غرامة.
صاحب الإوزَّة: أنا؟! ... وهو؟!
القاضي: هو براءة.
صاحب الإوزَّة (صائحًا): يا ناس! ... إوزَّتي ... ملكي ... يستولي عليها هذا الرجل ... ويطلع هو صاحب الحق؟!
الفرَّان: سامع يا حضرة القاضي؟! ... يقول إني أنا استوليتُ على ملكه!
القاضي (لصاحب الإوزَّة): عيب ... عيب الادعاء والاعتداء على الناس الأبرياء!
الفرَّان: تسمح لي يا حضرة القاضي أُناقِشه وأُثبِت حقوقي؟
القاضي: تفضل!
الفرَّان (لصاحب الإوزَّة): قل لنا يا هذا ... منذ متى كانت لك هذه الإوزَّة؟!
صاحب الإوزَّة: طول عمرها كانت لي.
الفرَّان: وقبل أن تكون لك ... أين كانت؟
صاحب الإوزَّة: كانت في البيضة.
الفرَّان: ولِمَن كانت البيضة؟
صاحب الإوزَّة: كانت لي أيضًا.
الفرَّان: ومِن أين جاءتك البيضة؟
صاحب الإوزَّة: من الإوزَّة التي باضتها.
الفرَّان: وهذه الإوزَّة الأم، من أين جاءتك؟
صاحب الإوزَّة: كانت عندي ... مع الكتاكيت ... وربَّيتُها بنفسي.
الفرَّان: وقبل أن تربِّيها بنفسك؟!
صاحب الإوزَّة: كانت بيضة طبعًا.
الفرَّان: وأمُّ هذه البيضة؟
صاحب الإوزَّة: إوزَّة أخرى بالطبع.

الفرَّان: وأين هي هذه الإوزَّة الأخرى؟
صاحب الإوزَّة: أيُّ إوزَّة أخرى؟
الفرَّان: الإوزَّة الجدَّة ... أين هي؟
صاحب الإوزَّة: الجدَّة؟!
الفرَّان: نعم ... التي باضت البيضة التي خرجت منها الإوزَّة التي باضت البيضة التي فقست وخرجت منها الإوزَّة موضوع النزاع؟
صاحب الإوزَّة (يلتفت إلى القاضي)**:** يا سيدي القاضي ... ما دخل هذا كله في موضوع إوزَّتي اليوم؟!
القاضي: هذا مهمٌّ جدًّا ... لإثبات حق هذا الفرَّان!
صاحب الإوزَّة: شيء عجيب! ... حقه في ماذا؟!
القاضي: لا تُراوِغ يا رجل! ... أجب عن سؤاله!
صاحب الإوزَّة: ما هو الموضوع بالضبط؟
القاضي: وبعدها معك يا رجل! ... أنت الآن أمام محكمة تريد الوصول إلى حل عادل ... اترك الفرَّان يتكلَّم بكل حرية ليُثبِت حقوقه.
الفرَّان: أرأيتَ يا سيدي القاضي الظلم والاضطهاد؟!
القاضي: دعك منه ... تكلَّم ... نحن كلنا نستمع إليك!
الفرَّان: تلك الإوزَّة الجدة التي باضت البيضة التي خرجت منها الإوزَّة التي باضت هذه البيضة التي أخرجت هذه الإوزَّة، كانت يومًا لي أنا وملكي.
القاضي: سمعتَ يا رجل؟
صاحب الإوزَّة: ما هذا الكلام؟!
القاضي: كلام واضح كالشمس!
صاحب الإوزَّة: الإوزَّة الجدَّة؟! ... شيء مضحك! ... والإوزَّة الوالدة ... ما مركزها هي الأخرى؟!
القاضي: الوالدة لا تهمُّنا ... المهم الجدَّة.
صاحب الإوزَّة: وما هو دليله على أن جدة إوزَّتي كانت ملكه؟
القاضي: وما هو دليلك أنت على أنها لم تَكُن ملكه؟!
صاحب الإوزَّة: وما قيمة ذلك إذا كانت كل أجيال البيض وما خرج منها، كانت دائمًا ملكي وتحت يدي؟!

القاضي: أتستطيع أن تُقسِم بالأيمان المُغلَّظة أنَّ جميع أجيال البيض والإوز كانت ملكك وتحت يدك؟! ... لاحظ يا رجل أنك إذا أقسمتَ كذبًا طبَّقنا عليك جريمة الشهادة الزور!

صاحب الإوزَّة: ما هو المقصود من جميع الأجيال؟

القاضي: جميع الأجيال يعني جميع الأجيال ... الكلام واضح كالشمس!

صاحب الإوزَّة: هل تدخل في ذلك مثلًا أول إوزَّة وُجِدت في الخليقة؟! ... أو بعبارة أخرى ستنا حواء الإوزَّة؟!

القاضي: أتمزح مع المحكمة؟!

الفرَّان: تفرَّج يا سيدي القاضي ... يحلو له الهزار أمام مجلس العدل المُوقَّر!

القاضي: اسمع يا رجل! ... سأعتبر كلامك هذا تهرُّبًا وعجزًا أمام أدلة الفرَّان الناصعة!

صاحب الإوزَّة: اسمحوا لي أسأل ... بكل احترام: ماذا تريدون مني؟

الفرَّان: رد شرفي!

القاضي: ها هو قد أخبرك.

صاحب الإوزَّة: وكيف يمكن ذلك؟!

الفرَّان: الاعتراف بشرعية وضعي.

صاحب الإوزَّة: وضعه؟! ... أيُّ وضع هذا؟!

القاضي: ألم تَقُل إنه استولى على إوزَّتك بغير وجه حق؟!

صاحب الإوزَّة: نعم ... وما زلتُ أقول ... وقد حكمتَ عليَّ بجنيه غرامة! ... فماذا تريد أكثر من ذلك؟!

الفرَّان: إنه مُصِرٌّ يا سيدي القاضي ... مُصِرٌّ على موقفه!

القاضي: فليُصِرَّ كما يشاء ... يكفي أن المحكمة قد برَّأتك أنت وصادقت على أقوالك، ولم تلتفت إلى أقواله ... وحكمت عليه بالغرامة لعدوانه عليك بالافتراء ... والآن، تفضَّل انصرف أيها الفرَّان الفاضل، مُعزَّزًا مُكرَّمًا مُشيَّعًا بعطف المحكمة.

الفرَّان: شكرًا يا سيدي القاضي ... وليَحْيَ العدل!

صاحب الإوزَّة: العدل! ... لا حول ولا قوة إلا بالله!

(الفرَّان يخطو للانصراف ... ولكن جماعة من الناس في آخِر الجلسة تصيح.)

الناس: لا تدعه ينصرف يا حضرة القاضي!

القاضي: مَن هؤلاء؟
الناس: نحن جماعة اعتدى علينا هذا الفرَّان!
القاضي: كيف يمكن ذلك؟

(أحد الجماعة معصوب العين، يتقدَّم ويقف بين يدي القاضي.)

المعصوب: أنا أقصُّ عليك ما حدث يا سيدي القاضي.
القاضي: قُل ولا تُطِل!
المعصوب: كنتُ أسير في طريقي أمام فرن هذا الفرَّان.
القاضي: ولماذا اخترتَ هذا الطريق يا رجل؟!
المعصوب: إنه طريقي المعتاد إلى منزلي.
القاضي: استمِر!
المعصوب: فلمَّا وصلتُ إلى الفرن، وجدتُ مشاجرة بين الفرَّان وهذا الرجل صاحب الإوزَّة.
القاضي: لا شأن لك بالإوزَّة!
المعصوب: طبعًا لا شأن لي ... ولكن الذي رأيتُه هو العراك بين الرجلَين والتلاكم بالأيدي ... فتدخلتُ أُخلِّص أحدهما من الآخر، وإذا بالفرَّان يقول لي: «ابتعد يا وغد!» ... ثم لطمني على عيني هذه لطمة عنيفة أفقدتها البصر.
القاضي: ولماذا تتطفَّل وتتدخَّل بينهما؟!
المعصوب: أردتُ منع الشر.
القاضي: ألم تسمع بالمثل الذي يقول: ما ينوب المخلص إلا تمزيق هدومه؟!
المعصوب: إن الفرَّان مزَّق عيني ... وفعلها عمدًا ... ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك.
القاضي: وهذه العين فقدت البصر تمامًا؟
المعصوب: تمامًا.
القاضي: يعني غير موجودة الآن.
المعصوب: غير موجودة بالمرَّة.
القاضي: وما هو الموجود إذن؟
المعصوب: عيني الأخرى.
القاضي: تقصد عينًا واحدة.

المعصوب: نعم ... واحدة.

القاضي: إذن نعتبر العين المفقودة غير موجودة.

المعصوب: بالتأكيد.

القاضي: فهي في حكم العدم ... وكأنَّها لم تكن.

المعصوب: طبعًا.

القاضي: إذن نتصرَّف على أساس أنك تملك عينًا واحدة ... هي هذه المبصرة الموجودة أمامنا في الجلسة.

المعصوب: بدون شك.

القاضي: العدل إذن يجب أن يأخذ مجراه.

المعصوب: بارك الله فيك يا سيدي القاضي!

القاضي: والعدل يقول: «العين بالعين» ... سامع يا رجل يا مظلوم؟! ... العين بالعين! ... وبناءً على ذلك، عليك أن تفقأ للفرَّان عينًا، وعلى الفرَّان أن يفقأ لك عينًا.

المعصوب: أيُّ عين؟!

القاضي: العين الموجودة أمامنا في الجلسة الآن.

المعصوب: هذه العين المبصرة؟!

القاضي: وهل لك عين أخرى يمكن أن تُفقَأ؟!

المعصوب: والعين المفقودة؟!

القاضي: لا تُغالِط يا رجل! ... هذه خارج الحساب.

المعصوب: خارج الحساب؟!

القاضي: طبعًا ... ألم تعترف الآن يا رجل أمام المحكمة أن المفقودة غير موجودة، وأنَّها في حكم العدم؟! ... فكيف تبني الأحكام على ما هو معدوم؟!

المعصوب: لكن يا سيدي القاضي.

القاضي: أتعترض يا رجل على أحكام القانون؟!

المعصوب: لا أعترض، ولكن ...

القاضي: ولكن ماذا؟ ... إن من المبادئ المُقرَّرة أن العين بالعين، والسن بالسن ... هذه مبادئ العدل، وقد أعطيناك حقَّك طبقًا لمبادئ العدل!

المعصوب: نعم يا سيدي ... ولكن ذلك سيجعلني أعمى.

القاضي: ولكنَّك ستأخذ حقَّك!

المعصوب: حقِّي ... أن أصير أعمى؟!
القاضي: في نظير ذلك، ستأخذ عين غريمك.
المعصوب: ولكنَّه سيُبصِر بالعين الأخرى.
القاضي: لأن له عينَين.
المعصوب: وأنا كنتُ أملك عينَين!
القاضي: ستعود إلى المُغالَطة!
المعصوب: وإذا رفضتُ؟
القاضي: رفضتَ ماذا؟
المعصوب: أن يفقأ كلٌّ منا عينَ الآخَر.
القاضي: ترفض الحكم؟!
المعصوب: وأنصرف إلى حال سبيلي، ولا أُطالِب بشيء، وحسبي الله.
القاضي: إذن أنت رافض حكم المحكمة!
المعصوب: المحكمة المُوقَّرة أرادت أن تُنصِفني وتُعطِيني حقِّي، وأنا متنازل عن طيب خاطر عن هذا الحق!
القاضي: هذا يُعتبَر استهتارًا واستخفافًا بأحكام المحاكم ... وبناءً عليه، حكمت عليك المحكمة بجنيه غرامة!
المعصوب: وأخرج بغرامة؟! ... يا ناس! ... يا هوه!

(يخرج الرجل المعصوب من قاعة الجلسة وهو يضرب كفًّا بكف.)

القاضي (يُنادي): غيره!

(يتقدَّم من بين الجماعة التي في آخِر الجلسة زوج ومعه زوجته الشابَّة.)

الزوج: يا سيدي القاضي ... أنا وزوجتي هذه كنا نسير أمام الفرن.
القاضي: أنتما أيضًا؟!
الزوج: وزوجتي حامل.
القاضي: وما دخل الحمل في الفرن؟!
الزوج: لا دخل.
القاضي: استمِر!

الزوج: وجدنا المُشاجَرة على أَشُدِّها بين هذا الفرَّان وبين صاحب الإوزَّة.

القاضي: قلنا لكم اتركوا الإوزَّة!

الزوج: لم أتدخَّل في العراك؛ نظرًا لوجود حريمي معي ... وهي حامل في شهرَين ... حمل كنت أنتظره بفروغ صبر يا سيدي القاضي! ... لأني لم أُرزَق بعدُ ... وهذه أول الخلفة.

القاضي: ما دمتَ لم تشترك في العراك وتنتظر الخلفة ... فلماذا شرَّفتَ؟! ... لتُبلِغنا الخبر السعيد ونُهنِّئك بالمولود؟!

الزوج: لا يا سيدي القاضي ... مع الأسف الشديد ... فرحة ما تمَّت ... لن يكون هناك مولود!

القاضي: سبحان الله! ... السبب؟

الزوج: السبب هذا الفرَّان.

القاضي: ما له! ... أيضًا في هذا؟!

الزوج: كان يتشاجر في الطريق ... يلطم هذا بيده، ويركل ذاك بقدمه ... فقلتُ له: «حاسب يا عم، معنا حريم»، فما كان منه إلَّا أن ضرب بقدمه بطن زوجتي فأسقط حملها.

القاضي: أسقط حملها؟!

الزوج (وهو يبكي)**:** نعم يا سيدي القاضي ... المولود المنتظَر ... ذريتي ... خليفتي!

القاضي: خليفتك؟! ... ما هي مهنتك؟

الزوج: صرَّام.

القاضي: يعني صرماتي!

الزوج: نعم.

القاضي: وكنتَ تنتظر خليفة!

الزوج: نعم.

القاضي: خليفة على عرش الصرم!

الزوج: ابني على كل حال ... ومِن دمي وصلبي.

القاضي: هل رأيتَه؟

الزوج: كيف أراه يا سيدي وهو لم يزل في بطن أمه؟!

القاضي: إذن أنت تتكلَّم عن شيء لم تَرَه بعينك!

الزوج: وهل يمكن رؤية الحمل؟

القاضي: ولا خبر عندك عن نوعه: ولد أو بنت؟
الزوج: لا أدري ... هذا علم الله!
القاضي: أنت لا تدري شيئًا أيُّها الرجل!
الزوج: طبعًا، لا يمكن أن أدري.
القاضي: إذن كيف تقول إن هذا المولود المنتظر هو ابنك؟!
الزوج (مُفاجَأً)**:** ماذا يا سيدي القاضي؟!
القاضي: ما دمتَ لا تعلم أنه ولد، فكيف تقول إنه خليفتك؟!
الزوج: من باب الأمل والعشم!
القاضي: إذن أنت لستَ متأكدًا؟
الزوج: طبعًا.
القاضي: إذن، ما دمتَ غير متأكد، فلا حق لك أن تقول إنه ابنك.
الزوج: ماذا تقصد يا سيدي القاضي؟!
القاضي: شيء لا تعرف عنه أيَّ شيء، كيف تدَّعي أنه لك؟
الزوج: لم أفهم.
القاضي: أُفهِّمك ... أليست زوجتُك تحمل شيئًا خفيًّا غير منظور في بطنها ... تجهله أنت كلَّ الجهل ... فما علاقتك أنت به؟!
الزوج: علاقتي به؟!
القاضي: هي تحمل شيئًا لا تعرفه أنت ولا تراه، فما شأنك أنت؟!
الزوج: بذرتي.
القاضي: بذرتك وحدك؟!
الزوج: طبعًا.
القاضي: ولماذا لا تكون هناك بذور أخرى؟!
الزوج: مستحيل.
القاضي: كيف تجزم بذلك؟
الزوج: أنا متأكد.
القاضي: منذ لحظة لم تَكُن متأكدًا من شيء ... فما الذي يجعلك الآن تتأكد من هذا؟!
الزوج: زوجتي امرأة شريفة.
القاضي: شابَّة حسناء ... وفي جيرانك — ولا شكَّ — شباب!

الزوج: إنها تُحبُّني.
القاضي: أليست هي التي تقول لك ذلك؟!
الزوج: إني أُصدِّقها.
القاضي: معقول! ... إن لم يُصدِّق الزوج المخدوع زوجته، فكيف يمكنها إذن أن تخدعه؟!
الزوج: تخدعني؟! ... قسمًا بالله لو أنها فعلت لقتلتُها وشربتُ من دمها!
الزوجة (صائحةً في زوجها)**:** تشرب من دمي؟!
الزوج: وماذا تنتظرين أن أفعل؟! ... تخونينني وأتركك تمرحين في الدنيا؟!
الزوجة: تُسرِّحني بإحسان.
الزوج: أُسرِّحك يا مجرمة!
الزوجة: أنا مجرمة؟!
الزوج: ألم تعترفي الآن بالخطيئة؟!
الزوجة: أنا اعترفتُ؟!
الزوج: حضرة القاضي سامع وشاهد.
الزوجة: يا حضرة القاضي ... هل أنا اعترفتُ بشيء؟!
القاضي: لا تحشروني في أسراركم العائلية!
الزوجة: ولكنَّه يريد أن يقتلني ويشرب من دمي لذنبٍ لم أرتكبه!
الزوج: ألم تقولي الآن إنك خُنتِني ولي أن أُسرِّحك بإحسان؟!
الزوجة: خُنتُك؟! ... أنا قلتُ إني خُنتُك؟! ... أنا أتكلَّم فقط عن الحق الشرعي لأي زوج ... عمومًا ... أن يُسرِّح زوجته، لا أن يقتلها ... وحضرة القاضي يعرف ذلك.
الزوج (للقاضي)**:** أصحيح هذا يا سيدي القاضي؟
القاضي: أنا هنا القاضي ... ولا أنطق بكلام إلا بعد وقوع الجريمة.
الزوجة: يعني يجب أن يقتلني أولًا!
الزوج: وأشرب من دمك!
الزوجة: إذا كنتُ خُنتُك.
الزوج: أتحلفين أنك لم تفعليها؟!
الزوجة: أحلف.
القاضي: قالوا للحرامي احلف قال جاءك الفرج!

الزوجة: هل لاحظتَ شيئًا على سيري؟!

الزوج: حتى الآن لا ... لكن، أنا في دُكَّاني طول النهار ... هل أعرف ماذا يحصل في غيابي؟!

الزوجة: في غيابك، أنا مع أمك في الدار ... ولو حصل أي شيء كانت أمك قالت لك!

الزوج: هذا صحيح.

الزوجة: لا تظلمني إذن! ... حرام عليك!

الزوج: والولد؟

الزوجة: تقصد الحمل؟

الزوج: أهو من صلبي؟

الزوجة: وهل هذا محلُّ شك؟!

الزوج: سامع يا حضرة القاضي؟!

القاضي: هذه مسألة ثقة ... وما دمتَ تثق في أقوالها فأنت حر!

الزوج: وبماذا تنصحني إذن يا سيدي القاضي؟

القاضي: أنصحك بأن تبتعد أنت عن هذا الموضوع ... فهو لا يخصُّك.

الزوج: أيُّ موضوع؟

القاضي: موضوع الحمل هذا ... فالحمل — كما قلتُ لك — ملك المرأة ... لأنه جزء من لحمها ... فالكلام فيه مع زوجتك مباشرةً.

الزوج: مع زوجتي وحدها؟!

القاضي: نعم ... معها وحدها فقط. (موجهًا كلامه للمرأة) تقدَّمي أيَّتها المرأة! هل عندك شكوى؟

الزوجة: طبعًا يا سيدي القاضي ... عندي شكوى ضد هذا الفرَّان!

القاضي: ماذا فعل؟

الزوجة: ضربني بقدمه في بطني فأسقط الحمل.

القاضي: يعني ليس عليه شيء سوى أنه أسقط حملك؟!

الزوجة: نعم ... أسقط حملي.

القاضي: أي أنه أفرغ ما كان في بطنك!

الزوجة: نعم.

القاضي: وأنت تطلبين الإنصاف، وتستحقِّين فعلًا كلَّ إنصاف.

الزوجة: وهذا أملي في عدلك.
القاضي: والعدل يقضي بأن مَن أفرغ إناء عليه أن يملأه.
الزوجة: يعني ...
القاضي: يعني حكمت المحكمة على الفرَّان أن يملأ ما أفرغه ... والآن اذهبي معه أيَّتها المرأة ليضع لك حملًا بدل الذي أسقطه.
الزوج (صائحًا)**:** تذهب مع الفرَّان؟!
الزوجة: هذا مستحيل ... مستحيل!
الفرَّان: اسمعي يا ست كلام العدل والإنصاف!
الزوج: اخرس!
القاضي: تُعارِض حكم المحكمة يا رجل؟!
الزوج: ولا يمكن قبوله أبدًا ... أبدًا.
الزوجة: نعم ... لا يمكن أبدًا ... أبدًا!
الفرَّان: أرأيتَ يا سيدي القاضي عدم احترام الأحكام؟!
القاضي: قلة أدب! ... حكمت عليك المحكمة، يا رجل أنت وزوجتك، بجنيه غرامة!
الزوج: غرامة غرامة!

(يسحب الزوج زوجته ويخرجان من الجلسة بسرعة.)

القاضي (يُنادي)**:** غيره!

(يتقدَّم شيخ مُعمَّم حتى يقف مُطرِقًا أمام القاضي وهو يُجفِّف دمعه.)

الشيخ: يا مولانا القاضي.
القاضي: أنت أيضًا كنت تسير أمام الفرن؟!
الشيخ: لا ... أنا لا شأن لي بالفرن، ولا أعرف أين الفرن.
القاضي: الحمد لله!
الشيخ: أنا كنتُ في المسجد ... أُصلِّي.
القاضي: وأنعِم بالصلاة!
الشيخ: وكان شقيقي الوحيد يُصلِّي هو الآخر في المسجد.
القاضي: جميل!

الشيخ: فما ندري إلا وهَرْجٌ ومَرْجٌ قد اقترب من المسجد ... وإذا بجماعة من الناس تلاحق هذا الفرَّان ... أحدهم يقول: الإوزَّة! ...

القاضي: وبعدها لكم مع الإوزَّة؟!

الشيخ (مُستمِرًّا): وآخَر يصيح قائلًا: عيني، عيني! ... وثالث يقول: زوجتي، زوجتي! ... وامرأة تُولوِل وتصرخ: بطني، بطني! ... وفلاح يزعق: حماري، حماري ... والكلُّ ومعهم أهل الناحية يجرون خلف الفرَّان، وهو يدفعهم عنه بيدَيه وقدمَيه ... إلى أن دخل المسجد ...

القاضي: ليصلي؟

الشيخ: ليعتصم به من مُطارِديه ... فلمَّا رآهم دخلوا خلفه ... أراد أن يهرب منهم، فصعد إلى أعلى المئذنة ... فصعدوا خلفه ... فقفز، وألقى بنفسه منها ...

القاضي: ومات؟

الشيخ (يمسح دمعةً): شقيقي هو الذي مات!

القاضي: وما دخل شقيقك؟!

الشيخ: كان يُصلِّي في صحن المسجد المكشوف تحت المئذنة ... وكان ساجدًا ... وإذا الفرَّان بكل ثِقله يقع من أعلى المئذنة على عنق شقيقي فيدقُّه دقًّا!

القاضي: وشقيقك هذا ... لماذا اختار هذا الموضع بالذات ليُصلِّي فيه؟

الشيخ: قِسمته!

القاضي: إذن هو ذنبه، وسوء تصرُّفه واختياره ... ومَن يضع نفسه موضع التهلُكة، فلا يلومنَّ إلا نفسه!

الشيخ: وهل هذا موضع تهلُكة يا سيدي القاضي؟! ... هذا موضعٌ من المسجد، يُصلِّي فيه كما يُصلِّي الناس جميعًا من سنين طويلة!

القاضي: أَوَلَم يهلك أخوك فيه؟ ... إذن هو موضع تهلُكة!

الشيخ: وهل كان يخطر على بال أحدٍ أن يصعد المئذنةَ رجلٌ يُلقي بنفسه منها على رقاب المُصلِّين؟!

القاضي: حدث، فماذا تريد؟

الشيخ: أريد العدل والإنصاف.

القاضي: ونحن هنا للعدل والإنصاف، والعدل يقول رقبة برقبة.

الشيخ: بوركتَ يا سيدي القاضي!

القاضي: وما دام هذا الفرَّان قد ألقى بنفسه من المئذنة على رقبة أخيك وهو يسجد فدَقَّها ... فعليه هو الآخَر أن يسجد في موضع أخيك، وتصعد أنت إلى أعلى المئذنة وتُلقِي بنفسك منها على رقبته فتدقها!

الشيخ: وإذا لم أقع على رقبته ووقعتُ على رقبتي أنا؟!

القاضي: هذا شأنك.

الشيخ: لا يا سيدي القاضي! ... الله الغني ... لا أريد.

القاضي: هذا حقُّك.

الشيخ: أنا متنازل عن هذا الحق؟

القاضي: ما الذي جرى لكم جميعًا؟! ... جئتم لطلب العدل، وعندما نحكم لكم بالعدل ترفضون! ... هذا تلاعُب بالقضاء ... حكمت عليك المحكمة بجنيه غرامة.

الشيخ: غرامة!

(الشيخ ينصرف في ذهول.)

القاضي: غيره!

(لا أحد يتقدَّم أو يتحرَّك أو يُجيب.)

القاضي: ما لكم خَرِستم؟! ... ألا يوجد أحد آخَر؟!

الفرَّان (يشير إلى فلَّاح بحماره آخِر الجلسة)**:** يوجد يا سيدي القاضي هذا الفلاح بحماره ... هناك في آخِر الجلسة ... قُربَ الباب!

القاضي: ما شأنه؟

الفرَّان: يقول إنه كان وسط الناس راكبًا حماره ... فلما اشتدَّ جَذْب الناس لي، وأردتُ الخلاص منهم، أمسكتُ بذيل حماره، وتشبَّثتُ به إلى أن انخلع في يدي، وصار أزعر!

القاضي (يُنادي الفلاح)**:** تعالَ يا رجل هنا!

الفلاح (يتقدَّم)**:** نعم يا سيدي.

القاضي: ما الذي حدث؟!

الفلَّاح: لم يحدث شيء.

القاضي: عجيبة! ... ألم يُمسِك هذا الفرَّان بذيل حمارك؟!

الفلاح: أبدًا.

القاضي: أليس حمارك أزعر؟!

الفلاح: خلقة ربه!

القاضي: من يوم ولادته؟

الفلاح: طول عمره بلا ذيل!

القاضي: وكيف يَنُشُّ الذباب عنه؟

الفلاح: أنا أَنُشُّ له.

القاضي: ولماذا لا تُركِّب له بدل الذيل مِنشَّة؟!

الفلاح: فكرة!

القاضي: أنت رجل كذَّاب!

الفلاح: أنا يا جناب القاضي؟!

القاضي: أيُوجَد، يا رجل، حمار يُولَد أزعر؟!

الفلاح: ربنا قادر على كل شيء.

القاضي: أسمعتَ أنه يخلق الحمار بلا ذيل؟!

الفلاح: كما سمعتُ أنه يجعل الإوزَّة المُحمَّرة تطير من الفرن!

القاضي: معقول! ... أقنعتَني! ... لعنة الله عليك! ... إذن، ليست لك شكوى ضد الفرَّان؟

الفلاح: لا أبدًا ... لا سمح الله!

القاضي: وماذا جئتَ تفعل هنا إذن؟

الفلاح: أتفرَّج.

القاضي: تتفرَّج؟! ... تتفرَّج على ماذا؟

الفلاح: على الجلسة!

القاضي: قالوا لك إن العدالة فُرجة؟! ... وفُرجة بالمجان؟! ... حكمت عليك المحكمة بجنيه غرامة!

الفلاح: بشكوى، من غير شكوى ... العدل ملاحق الجميع! ... سلام عليكم!

(ينصرف هو وحماره ... وينصرف معه كل الحاضرين، ولا يبقى في الجلسة غيرُ القاضي والفرَّان.)

القاضي: أظنُّ انتهت الجلسة!

الفرَّان: على خير والحمد لله!
القاضي: ما رأيك؟ ... خلصتُك كالشعرة من العجين!
الفرَّان: والغرامات؟
القاضي: مفهوم! ... لك فيها نصيب!
الفرَّان: طبعًا ... نظير الاضطهاد العام الذي أصابني من جموع الناس!
القاضي: اطمئن! ... ستحصل على تعويضات سخيَّة!

تقرير قمري

(عندما يُفترَض أن القمر قد يكون مسكونًا بكائنات غير مرئية للعين البشرية، ولكنَّها كائنات ذكية، فإن الفرض المنطقي يذهب أيضًا إلى احتمال تساؤل هذه الكائنات عن أمر هذَين الرجلَين الرائدَين اللذَين هبطا أول مرة على سطح القمر. من أيِّ بلد جاءا؟ وإلى أي مجتمع ينتميان؟ ... كائنات القمر تريد تقريرًا عن ذلك ... ولم يعرف أحد بأمر هذا التقرير إلا مؤخرًا جدًّا ... ولا يعرف أحد فحواه بالضبط ... لكن ما يمكن معرفته هو الحديث الذي دار في هذا الصدد ... منذ اللحظة الأولى، يومَ هبط رائدا الفضاء أول مرة، وأخذا يَخطُوَان في حذرٍ على سطح القمر، ويضعان عليه اللوحة التذكارية، بينما الكائنات تُتابِعهما وتتهامس! ...)

الكائن الأول: ماذا يضعان؟

الكائن الثاني: لوحة تذكارية ... تُفيد أنهما جاءا هنا باسم الإنسانية.

الكائن الأول: لا بأس! ... بداية طيبة.

الكائن الثاني: انظروا، انظروا ... ماذا يضعان أيضًا؟ ... هذه راية ... راية البلد الذي ينتميان إليه؟

الكائن الأول: لماذا؟

الكائن الثاني: تفاخرًا وتحديًا ... عادوا إلى طبيعتهم.

الكائن الأول: وا أسفاه!

الكائن الثالث: حقًّا ... لم يستطيعوا الاحتفاظ باحترامنا أكثر من لحظة قصيرة.

الكائن الثاني: قلتُ لكم إنهم لا يستحقُّون منا شيئًا أكثر من توجيههم إلى الأحجار الزهيدة.

الجميع: صدقتَ! ... فليأخذوا الأحجار!

(رائدا الفضاء يجمعان بعض الأحجار والصخور الصغيرة، ويمضيان عائدَين إلى المركبة ويرتفعان بها منصرفَين.)

الكائن الأول: انصرفوا.

الكائن الثالث: سيعودون مرةً أخرى بعد قليل ... وبعدد أكبر.

الكائن الثاني: ماذا يريدون بالضبط؟

الكائن الثالث: مع مثل هؤلاء، كلُّ شيء ممكنٌ أن يُقال.

الكائن الأول: ما هي آخِر مرة كنتَ فيها هناك ... بينهم؟

الكائن الثالث: كان ذلك يوم إلقاء قنبلة مخيفة ... أظنُّ أني حدَّثتُكم عن ذلك في حينه.

الكائن الأول: نعم، نعم ... قلتَ لنا كلامًا مرعبًا.

الكائن الثاني: وتركتَهم هربًا ... وعُدتَ إلينا فورًا.

الكائن الثالث: لم أشأ بعد ذلك أن أعرف عنهم شيئًا.

الكائن الأول: بالعكس ... يجب الآن أن نعرف عنهم كل شيء.

الكائن الثاني: بدون شك ... يجب الآن أن نعرف ماذا يجري هناك ... في هذا البلد.

الكائن الأول: اسمعوا ... عندي رأي ... فليذهب أحدنا في الحال إلى هناك ويعرف لنا شيئًا عن هذا البلد الذي جاء منه هذان الشخصان ... لنُحدِّد سلوكنا في المستقبل مع هؤلاء الناس.

الكائن الثالث: ومَن الذي يذهب؟

الكائن الثاني: أنت.

الكائن الثالث: أنا؟! ... مستحيل ... لقد قررتُ ألَّا أذهب إلى ذلك المكان مرةً أخرى.

الكائن الأول (للثاني)**:** فلتَكُن أنت إذن.

الكائن الثاني: وحدي؟

الكائن الأول: ومِمَّ تخاف؟

الكائن الثاني: ليس الخوف ... ولكن ... اسمع ... لماذا لا تأتي أنت أيضًا معي؟! ... اثنان خير من واحد في مثل هذا العمل ... نستطيع، على الأقل، أن نتبادل الرأي فيما سوف نرى.

الكائن الثالث: أعتقد أن هذا أصوب ... شاهدان رؤيتهما أدق.

الكائن الثاني: وأشمل وأعمق.

الكائن الأول: وهو كذلك ... فلنذهب إذن معًا ... أنا وأنت.

الكائن الثالث: وأنا أنتظركما هنا وأتمنَّى لكما التوفيق!

الكائن الأول: التوفيق في ماذا؟

الكائن الثالث: في فَهم هؤلاء الناس ومجتمعهم.

(في ذلك الوقت كان على الأرض اجتماع هام في مكتب خاص بين قائد عسكري وزعيم سياسي ... وهما مشغولان بحديث تليفوني سري ... بينما الكائن القمري ١ والقمري ٢ قد هبطا واستقرَّا فوق سطح خزانة كبيرة ينظران فيما حولها.)

القمري ١: أين هبطنا؟

القمري ٢: في ذلك البلد طبعًا.

القمري ١: أقصد هذا المكان ... ما هو؟ ... وما هذان الرجلان؟

القمري ٢: لا أدري ... سنعرف ذلك حالًا.

القائد العسكري (في التليفون صائحًا)**:** وقبضتم عليه؟ ... بأيِّ تهمة؟

السياسي (للقائد)**:** يجب أن يُفهموه بأنه ليس مقبوضًا عليه ... وأنه حرٌّ تمامًا، وفي بلد حر ... ولكن ... أحضروه هنا بسرعة ... طبعًا بلباقة ... زيارة ودية.

(القائد يضع السماعة وينتظر مُفكِّرًا.)

السياسي: بهذه الطريقة نستطيع أن نحصل منه على ما نريد.

القائد: بغير عنف؟ ... ممكن؟!

السياسي: فلنحاول إقناعه أولًا.

القائد: وهل مِثلُه يقتنع بسهولة؟!

السياسي: مَن يدري؟! ... هذا يتوقَّف على مقدرتنا نحن في إفهامه أن اكتشافه سوف يُدمِّر العالم.

القائد: هذا الصيني المتعصِّب؟!

السياسي: لا تَنْسَ أنه أبرزُ العلماء ... والعلماء أقربُ الناس إلى الوقوع في شَرَك المنطق.

القائد: إلَّا إذا كان صينيًّا شيوعيًّا!

السياسي: فعلًا ... هذا يجعل الأمر أكثر صعوبةً ... ولكن فلنُحاوِل على كل حال.

القائد: إذا لم تنجح المحاولة، فاترك لي حرية التصرُّف.

السياسي: أَعِدُك بذلك.

القمري ١: فهمتَ شيئًا؟!

القمري ٢: لم أفهم بعدُ ... فلننتظر قليلًا.

(موسيقى راقصة صاخبة تُسمَع مع ضحكاتٍ من بعيد ... ثم تقترب وتعلو، ثم تبتعد.)

القائد (مشيرًا إلى مصدر الموسيقى)**:** أولادنا!

السياسي: عيد ميلاد بنتي.

القائد: أحسدك على عقلها!

السياسي: ألم يَزَل ابنك مُصِرًّا على موقفه؟

القائد: تصوَّر! ... ابن قائد مثلي ... يثور على أبيه!

السياسي: إنه يثور على الحرب.

القائد: وما الفرق؟!

السياسي: هؤلاء الشباب لا يفهمون.

القائد: إنهم يفهمون فقط تعاطي المخدرات والضَّياع والتسكُّع بهيئة زرية وإطلاق الصرخات والهتافات!

السياسي: بنتي، والحمد لله، بعيدة عن ذلك.

القائد: قلتَ لي إنها متفوِّقة في جامعتها.

السياسي: جدًّا.

القائد: لا يُدهِشني ... سياسي مثلك لا بد أن ينجح في التفاهم، على الأقل، مع ابنته.

السياسي: هل حاولتَ التفاهم مع ابنك؟!

القائد: لا فائدة على الإطلاق.

السياسي: لا بدَّ أن يكون هناك حل.
القائد: وأين الحل؟
السياسي: هل ناقشتَه؟
القائد: لا يستمع إلى كلامي ... يهزُّ كتفَيه ويمشي.
السياسي: إني دائمًا أُناقِش ابنتي وتُناقِشني.
القائد: وأنا قبل أن أنطق بكلمةٍ أجده أدار لي ظهره واختفى، ناظرًا إليَّ باحتقار.
السياسي: ربما كنتَ لا تُحسِن الكلام مع هذا الجيل.
القائد: هل تتولَّى أنت ذلك عني؟!
السياسي: بكل سرور ... عندما تسنح الفرصة.

(طرْق على الباب.)

القائد: ادخل.
جندي (يظهر ويُؤدي التحية العسكرية)**:** الصيني!
القائد: دعه يدخل.

(يخرج الجندي ويعود برجل صيني متوسط العمر.)

الصيني (ينظر حوله)**:** لماذا أخذوا جواز سفري؟!
القائد: نأسف ... إجراء مؤقت ... تفضَّل استرح.
الصيني (يجلس)**:** هل هناك تهمة مُوجَّهة إليَّ؟!
القائد: لا، لا ... مطلقًا.
الصيني: لقد جاءوا بي من المطار.
القائد: أردنا التشرُّف بمعرفتك ... وخِفنا أن تفوتنا الفرصة.
الصيني (مستريبًا)**:** أنا في خدمتكم.
القائد: ونحن أيضًا في خدمتك (مشيرًا إلى السياسي) ... وصديقي، مثلي، كان يتوق إلى رؤيتك.
السياسي: فعلًا ... لقد سمعتُ بك وباكتشافك العلمي.
الصيني: اكتشافي العلمي؟!

السياسي: إنه ليس سرًّا من الأسرار ... الأبحاث العلمية — كما تعرف — لم يَعُد من السهل إخفاؤها طويلًا.

الصيني (مُطرِقًا)**:** فهمت.

القائد: ما دمتَ فهمتَ، فلندخل في الموضوع مباشرةً ... ألم تتصوَّر مقدار الدمار الذي سوف يُحدِثه اختراعك؟!

الصيني: دمار؟!

القائد: بدون شك.

الصيني: يظهر أن هناك سوء تفاهم ... أنا لم أخترع شيئًا يُحدِث دمارًا.

السياسي: نحن لا نقصد قنبلة بالمعنى الحقيقي.

الصيني: أنا لا شأن لي بالقنابل.

السياسي: نعلم ذلك.

القائد: ولكن النتائج واحدة.

الصيني: كيف يمكن أن تكون النتائج واحدة؟!

القائد: لماذا أردتَ أن تهرب باختراعك خارج البلاد؟!

الصيني: الهرب ليس بالوصف الدقيق.

السياسي: أنت بالطبع لم تَكُن تقصد سوءًا.

الصيني: كان سفري أمرًا طبيعيًّا ... كان لا بد لي أن أعود إلى وطني.

السياسي: معقول ... وأنت حرٌّ في ذلك.

القائد: ولكنه ليس حرًّا في أن يُخفِي هنا سر اختراعه.

السياسي: لا أظنُّ أنه أراد أن يُخفي شيئًا.

الصيني: فعلًا ... ليس عندي ما أُخفِيه.

القائد: هل تسمح لنا إذن بفتح حقيبة أوراقك؟

الصيني: إذن أنا موضع تهمة؟

السياسي: لا ... إنه مُجرَّد رجاء ... لك أن ترفضه.

الصيني: وإذا رفضتُه أُصبِح موضع ارتيابكم طبعًا.

السياسي: لك أن تُقدِّر ذلك.

الصيني: لن تفهموا شيئًا من الأوراق؛ لأنها معادلات كيميائية ... ولكني أشرح لكم الموضوع باختصار.

السياسي: الموضوع معروف.
الصيني: لا أظن ... فأنتم تقولون إنه شيء يُحدِث دمارًا.
السياسي: هذه وجهة نظر.
الصيني: في هذه الحالة، أُفضِّل أن أعرف وجهة نظركم.
السياسي: تكلَّم أنت أولًا.
الصيني: ماذا تريدون أن تعرفوا بالضبط؟
القائد: ماذا تقصد بهذا المشروع؟
الصيني: القضاء على المجاعة في بلادنا.
القائد: في بلادكم وحدها؟
الصيني: هذا ما يهمُّني ... ما يهمُّنا كلنا هناك ... الصين كبيرة جدًّا ... وعدد سكَّانها سوف يبلغ ألف مليون عن قريب.
القائد: معلوماتنا السرية عن مشروعك هو أنه يستهدف القضاء على الجوع في كل مكان.
الصيني: وما الضرر في ذلك؟
القائد: آه ... جئنا إلى النقطة المهمة.
السياسي: إذن أنت معترف بأن المشروع مفروضٌ استخدامُه في أنحاء العالم.
الصيني: لمن يريد.
السياسي: طبعًا ستريد ذلك في الحال كلُّ دول آسيا، وكلُّ دول أفريقيا، وكلُّ دول أمريكا اللاتينية ... والبقية تأتي.
الصيني: هذا مُحتمَل.
القائد: بل قُل هذا مؤكَّد.
الصيني: فليَكُن.
السياسي: ألم تتوقَّع النتائج؟!
الصيني: النتائج طبعًا هي أن تعيش هذه الملايين في رخاء وسلام.
القائد: ونحن؟
الصيني: وأنتم أيضًا.
القائد: لا يا سيدي ... نحن سيُصيبنا الدمار.
الصيني: كيف ذلك؟

السياسي: اسمح لي أشرح لك ... المعروف في مشروعك أنك ستستخرج الغذاء والكساء عن غير طريق الزراعة والصناعة التقليدية.

الصيني: بحوث العلم اليوم تتجه إلى ذلك.

السياسي: نعم ... ولكنك توصَّلتَ فعلًا إلى الطريقة العملية الممكنة إلى تحقيق ذلك ... وقمتَ فعلًا بتجربةٍ ناجحةٍ لصنع المأكل والملبس من موادَّ في الهواء والماء بأزهد التكاليف وبأبسط الوسائل.

الصيني: لم أنجح تمامًا.

السياسي: بل نجحتَ نجاحًا لم يكن منتظَرًا اليوم بهذه السرعة ... وأنت مسافرٌ الآن إلى بلدك لتُحقِّقه على نطاق واسع.

الصيني: هذه معلوماتكم.

القائد: ومِن مصادر موثوق بها.

السياسي: وإليك النتائج المُدمِّرة لنا من عملك هذا ... أولًا، القضاء على زراعتنا وصناعتنا ... بمعنًى آخَر القضاء على اقتصادياتنا.

القائد: ماذا تريد أن نفعل بمحصول القمح الفائض عندنا؟

السياسي: وماذا نفعل بالأبقار والدواجن؟ ... نتركها تتنزَّه في الغابات والحدائق؟!

القائد: والمشتغلون بالزراعة وتربية الحيوان يتشرَّدون في الشوارع؟!

السياسي: والمصانع القديمة تتوقَّف، ثم إنتاجها القائم على التصدير أين يذهب؟

القائد: تكلَّم!

الصيني: كلُّ ذلك قيل يومًا عندما اكتُشف البخار واحتجَّ أصحاب السفن الشراعية ... وعندما اكتُشِفت الكهرباء وارتاع أصحاب المصانع اليدوية.

السياسي: مفهوم ولكن ...

القائد: هناك أيضًا الجانب السياسي والعسكري ... أين يكون مركز الدول الكبرى يوم تستغني عنها الدولُ الأخرى؟ ... إن أهمَّ سلاحٍ للضغط في يد الدول الكبرى هو فائض زراعتها وصناعتها.

السياسي: إنه تدميرٌ أيضًا لسياسة الدول الكبرى.

الصيني: ولماذا تُصِرُّون على أن تكون هناك دول كبرى ودول صغرى؟!

السياسي: ماذا تقول؟!

القائد: هو باختصار يريد تدمير كل شيء.

السياسي: ما هي شروطك لتسليمنا هذا المشروع؟

الصيني: شروطي؟!

السياسي: نعم، قدِّر المبلغ ... أي مبلغ تريد؟!

الصيني: نقود؟! ... لا ... لا أريد نقودًا.

السياسي: إذن ما هي طلباتك؟

الصيني: ليست لي طلبات خاصة ... وليس من الضروري تنفيذ المشروع في بلادي أولًا ... خذوه أنتم ولكن بشرط.

السياسي: نعم، قل ما هو الشرط.

الصيني: الشرط هو أن تُنفِّذوه أنتم هنا في بلادكم.

القائد: جميل جدًّا ... تريد منا أن نأخذ منك القنبلة كي نُلقِيَها بأيدينا على رءوسنا!

الصيني: بل على رءوسٍ قليلةٍ عَفِنةٍ جَشِعة!

السياسي: قنبلتك ستُدمِّر تركيب المجتمع كله.

الصيني: المجتمع القديم ... نعم ... ولكن سيَنبُت مجتمع جديد سيجد كل فرد فيه ما يأكل وما يلبس بدون عناء، وسيعُمُّ الرخاء ويختفي الشقاء.

القائد: وتختفي الحروب.

الصيني: طبيعي.

القائد: وتنتهي الجيوش.

الصيني: فعلًا.

القائد: وأجلس أنا أقضم جزرًا كالأرنب!

السياسي: وأنا معك يا صديقي ... لن تكون هناك حاجة إلى السياسي ... وسأجلس أنا أيضًا أقضم شيئًا ... لستُ أحبُّ الجزر ... فلتَكُن خيارة.

الصيني: سيحتاج إليكم المجتمع الجديد في نوع جديد من العمل.

القائد: لا أريد أن أعيش حتى أراني في عمل جديد.

السياسي: إني أرى نوع العمل الذي ينتظرنا.

القائد: مجتمع القوة والمجد سينقلب إلى مجتمع أرانب.

الصيني: إذن، اتركوني أذهب بمشروعي إلى مَن يريدون مجتمع الأرانب ... الأرانب الوادعة التي تعيش في جنَّة العشب الوفير ... واحتفِظوا أنتم بمجتمعكم القوي المجيد.

السياسي: الأرانب إذا شَبِعت وتكاثرت وحاصرت الأسد فإنها تستطيع أن تخنقه!

القائد (بحزم وعنف): سلِّمنا مشروعك بلا قيد ولا شرط.
الصيني: أُسلِّمه لكم لكي تُعدِموه؟!
القائد: بدون شك.
الصيني: في هذه الحالة، أَعدِموني أنا ... لأنه موجود هنا في رأسي.
القائد: هذا ما كنتُ أتوقَّعه.
السياسي: نعم، يظهر أن المحاولة معه ليست مُجدِية.

(القائد يضغط على زر فيظهر الجندي فيُشير القائد إلى الصيني فيأخذه الجندي ويذهب به بعد أن يفهم من عين القائد ماذا يجب أن يصنع به.)

القائد: هيا بنا ننظر ماذا يفعل أولادنا.

(يخرج القائد والسياسي ... ويهبط القمري الأول والقمري الثاني من فوق الخزانة، ويلُفُّ أحدهما فوق المكتب والآخَر فوق المقعد ... ثم يُصحِّحان الوضع ويحاولان الجلوس في مكان كلٍّ من القائد والسياسي، مُقلِّدَين حركاتهما، كأنَّما يسخران منهما.)

القمري ١: والآن ... أظنُّ أننا فهمنا كل شيء.
القمري ٢: طبعًا فهمنا.
القمري ١: ماذا فهمتَ أنت؟
القمري ٢: وأنت ماذا فهمتَ؟
القمري ١: أن رجلًا يريد أن يُطعِم الجميع هنا على الأرض فأخذوه وأعدموه.
القمري ٢: نعم ... الطعام ... لكن ما هو الطعام؟!
القمري ١: ألا تعرف ما هو الطعام؟
القمري ٢: أعرف طبعًا ... هو شيء سخيف يدخل عندهم من ناحية ويخرج من الناحية الأخرى، ويُسبِّب لهم كل متاعبهم ومشاكلهم.
القمري ١: نحمد الله أننا نحن لا نعرف هذا الشيء!
القمري ٢: لو عرفناه نحن لكنَّا مثلهم؛ يقتل كلٌّ منا الآخَر.
القمري ١: صه ... صوت قادم.

(يدخل فتًى وفتاة في شِبه خصام، ويغلقان خلفهما الباب.)

الفتى: أنت جاسوسة.

الفتاة: أنا؟!

الفتى: مَن ليس معنا فهو علينا.

الفتاة: أنا لستُ معكم ولا عليكم ... أنا لا أفهمكم.

الفتى: أبوك السياسي البارع قد حشا رأسك الصغير بالأكاذيب.

الفتاة: أبي يفتح لي قلبه، ويُناقِشني بكل حرية.

الفتى: يقول لك إن القضاء على حرية شعبٍ هو إنقاذٌ للعالم الحر؟!

الفتاة: لم يقل لي ذلك.

الفتى: طبعًا قال لك عبارات مُنمَّقة مقنعة.

الفتاة: قال لي بكل صراحة إننا نحارب الشيوعية لأنها تقضي على كيان مجتمعنا.

الفتى: لماذا؟

الفتاة: سألتُه هذا السؤال ... فأجاب بكل حرية وصراحة أيضًا أن الشيوعية جميلة ونبيلة، ولكن خطرها في التطبيق والتنفيذ ... فهي تحتاج إلى جهاز تنظيمي وإداري غاية في الدقة والأمانة، وأن أيَّ خلل فيه يؤدي إلى الفوضى أو إلى الدكتاتورية.

الفتى: قلتُ لك إنه بارع ... ولكنه مُضلِّل.

الفتاة: لا تَقُل عن أبي إنه مُضلِّل.

الفتى: عفوًا ... أبي أنا أيضًا في نفس الوضع ... إن لم يكن أسوأ ... الاثنان مشتركان في نفس الجريمة ... جريمة دَفْعنا — نحن الجيل النظيف — إلى حرب قذرة ... لماذا لا يكتفون بإقناع مجتمعنا هنا بمزاياه؟! ... لماذا يذهبون بنا إلى شعبٍ آخَر لنهدم مجتمعه ومذهبه الذي اختاره لنفسه؟!

الفتاة: فعلًا ... هذا ما قلتُه لأبي: لماذا لا نترك الآخرين وشأنهم في سلام؟!

الفتى: طبعًا قال لك إننا ندافع عن سلامتنا ... وإن خير طريقة للدفاع هي الهجوم!

الفتاة: نعم ... قال شيئًا كهذا.

الفتى: واقتنعتِ أنت؟!

الفتاة: ليس تمامًا ... ولكني لم أجد ردًّا.

الفتى: ألم يخطر لك أن تقولي له إن خير طريقة للدفاع ليس الهجوم، ولكنه السلام والرخاء العام؟!

الفتاة: الرخاء العام؟

الفتى: لو أن ملايين الملايين التي تُنفَق هنا في الحرب، أُنفِقت في إلغاء الفقر والعوز والعنصرية والسطحية في مجتمعنا، لكان هذا هو حصن الدفاع المتين، والمثَل الحي الذي قد يُبرِّر للناس في كل مكان مزايا الاحتفاظ به أو السير على هداه.

الفتاة: فعلًا.

الفتى: لكن والدي ووالدك وأمثالهما، يُقوِّضون مجتمعنا هذا، ويُنفِقون أمواله خارجه في حروب عقيمة، ويتركونه للفساد والتحلُّل والفقر بين طبقاتٍ تعيش في ظلام اليأس أو دماء الآخرين، ويدفعون بنا — نحن شباب المستقبل — لنموت دفاعًا عن مثل هذا المجتمع المتداعي.

الفتاة: حقًّا ... حقًّا ... لماذا لم يُفكِّروا في ذلك؟

الفتى: من الذي يُفكِّر؟! ... إن هذا المجتمع المنحلَّ هو مِلكٌ لحفنةٍ من الشركات العظمى، وطبقةٍ من رجال المال والأعمال، يستأجرون عقل والدك وبراعته السياسية، وسيف والدي وخبرته الحربية؛ لحماية مصالحهم وأرباحهم.

الفتاة (منزعجةً كمن أفاق)**:** أرباحهم؟!

الفتى: وها هنا النقطة الأخيرة ... التي تُفسِّر لك كل شيء؛ هذه الأرباح لا يمكن أن تُجنَى إلَّا من عرق شعوبٍ أخرى تكدح في سبيل لقمةٍ كي تعطي ثرواتها لهذه الشركات ... ولماذا تقبل؟ ... بالضغط ... بدهاء والدك وسيف والدي.

الفتاة: والدي ووالدك؟!

الفتى: ونحن — الشباب — أدواتهم ... يجلسون على المكاتب، ويقذفون بنا وقودًا حيًّا في نارٍ يوقدونها لطهو ولائم أسيادهم الباذخة، ويُسمُّون هذا دفاعًا عن الحرية!

الفتاة: حرية من؟! ... حرية السادة إذن في أكل الآخرين.

الفتى: وهل عندك شك؟!

الفتاة: كلَّما قلتُ لوالدي لماذا تحاربون، قال من أجلكم أنتم يا أولادنا ... لكي تعيشوا دائمًا في عالم حر.

الفتى: لكي يعيش عدد من أصحاب الملايين مرضى بضغط الدم، وعدد من صاحبات الملايين مخموراتٍ على ظهور اليخوت!

الفتاة: ليس إذن من أجل مستقبلنا؟

الفتى: مستقبلنا ... مستقبلنا ... سنُبطِل لهم هذه الحجة عن قريب.

الفتاة: كيف؟

الفتى: سنُحطِّم لهم هذا المستقبل حتى يفقدوا السبب الذي من أجله يحاربون ... سنُحطِّم المستقبل!

الفتاة: والدك يقول إنك شيوعي.

الفتى: ووالدكِ أنت، ماذا يقول عني؟

الفتاة: يقول أحيانًا إنك فوضوي، وأحيانًا ...

الفتى: وأحيانًا ...

الفتاة: وأحيانًا يقول إنك مخدوع.

الفتى: مخدوع؟!

الفتاة: لا تفهم حقائق الأمور.

الفتى: كلُّ من يكره مجتمعهم هذا يقولون عنه أيَّ شيء.

الفتاة: أنا أيضًا لا أحبُّ كثيرًا هذا المجتمع.

الفتى: إذن، تعالَي، وانضمِّي إلينا.

الفتاة: أين؟!

الفتى: في مجتمعنا نحن، الذي نصنعه بأنفسنا.

الفتاة (مُتردِّدة): لا.

الفتى: خائفة؟

الفتاة: سمعتُ عنه أشياء.

الفتى: أشياء مقززة؟!

الفتاة: نعم.

الفتى: وصدَّقتِها؟

الفتاة: ربما كانت أكاذيب.

الفتى: لا ليست أكاذيب.

الفتاة: تعترف.

الفتى: بالطبع ... كلُّ ما سمعتِ حقيقة ... وأقل من الحقيقة.

الفتاة: وبماذا تُبرِّرون هذا؟

الفتى: نحن لا نُبرِّر، ولا نكذب ... لقد هربنا من مجتمع الأكاذيب والتبريرات.

الفتاة: لا بد مع ذلك أن يكون هناك سبب ... فكرة.

الفتى: لا يوجد.

الفتاة: كيف ذلك؟

الفتى: لا يوجد ... لا نريد.

الفتاة: لماذا؟

الفتى: ما زالت عقليَّتكِ تبحث عن الأسباب ... المُبرِّرات ... أي الأكاذيب ... نحن لا نريد أسبابًا للدفاع عن أنفسنا ... ولا مبرِّرات لتجميل موقفنا ... نحن هكذا كما نحن ... مقرفون ... مُقزِّزون ... ضائعون! ... فهمتِ؟

الفتاة: هذا عجيب!

الفتى: هذا طبيعي.

الفتاة: طبيعي؟!

الفتى: لقد رفضنا هذا المجتمع ... رفضناه بكلِّ ما فيه ... بكلِّ تقاليده ... بكلِّ مدلولاته ... بكلِّ كلماته ... كلمة النظافة ... كلمة العقل ... كلمة الحرب ... كلمة الحكمة ... كلمة السبب ... كلمة المُبرِّر ... كلمة الكذب ... كلمة الأخلاق ... كلمة السلوك ... كلمة النظام ... الهندام ... الصحو ... الصحة ... اليقظة ... المهنة ... العمل ... المال.

الفتاة: وماذا بقي؟

الفتى: لا شيء.

الفتاة: تقول لا شيء؟!

الفتى: لا شيء من ذلك المجتمع القديم.

الفتاة: لكن ...

الفتى: لا تحاولي أن تفهمي ... يكفي أن تأتي معنا ... وتعيشي بيننا.

الفتاة: وهل أنتم سعداء؟

الفتى: نعم.

الفتاة: حيث لا يوجد شيء.

الفتى: نعم، لا شيء.

الفتاة: والحب؟

الفتى: هو كل شيء.

الفتاة: مُدهِش!

(نقر على الباب ... ثم يُفتَح ويظهر الجندي.)

الجندي: أين الجنرال؟

الفتى: أبي؟ ... ماذا تريد منه؟
الجندي: أُبلغه شيئًا هامًّا.
الفتى: قل وأنا أُبلغه.
الجندي: الصيني انتحر.
الفتى: انتحر؟ ... أو قُتل؟
الجندي: أرجو تبليغه ذلك ... وشكرًا.

(ينصرف الجندي.)

الفتاة: الصيني؟!
الفتى: أتعرفين حكايته؟!
الفتاة: سمعتُ أنه يصنع قنبلة.
الفتى: هذه القنبلة هي اختراع نبيل لإطعام كل سكان الأرض.
الفتاة: وانتحر؟!
الفتى: بل قُتل ... هذا كان متوقعًا ... قتله والدي ووالدك.
الفتاة: لماذا؟
الفتى: لأنَّ هذا المجتمع لا يعيش إذا عاش كل الناس في رخاء.
الفتاة: فظيع!
الفتى: تعالَي معنا ... اهربي.
الفتاة: إلى أين؟ ... إلى حيث لا شيء؟!
الفتى: نعم ... لا شيء ... سوى الدمار ... الضياع ... نحن مستقبله ... نُدمِّر أنفسنا لنُدمِّره ... نحن القنبلة ... الرهيبة ... ستنفجر بنا وبه ... لن يكون هناك شباب ... لن يكون لهذا المجتمع مستقبلٌ يَنسُجُون باسمه الأكاذيب ... ويجعلون من مستقبله حجةً لأغراضهم الدنيئة.
الفتاة: تريد مني إذن ...
الفتى: أن تُدمِّري نفسك ... معنا ... حتى لا تقع هذه النفس رهينة عصابة من المجرمين ... من مجتمع مجرم ... يصنع من الشباب أداةَ حروب قذرة.
الفتاة: ألا يوجد حلٌّ آخر؟
الفتى: في مجتمعنا هذا، لا يوجد سوى هذا.

الفتاة: الانتحار؟!

الفتى: نعم انتحارنا جميعًا ... نحن الشباب ... انتحار مستقبلٍ بأكمله يصنعه مجتمع موبوء ... خيرٌ لنا أن نختار بأنفسنا نهايتنا من أن يختاروها لنا في حروبٍ نقتل لهم فيها الأبرياء.

الفتاة: نعم ... يجب أن يكون لنا، على الأقل، حق اختيار نهايتنا!

الفتى: هيا بنا.

(الفتى والفتاة يذهبان بسرعة.)

القمري ١: سمعتَ؟

القمري ٢: سمعتُ وفهمتُ.

القمري ١: أهذا هو البلد ... المجتمع ... الذي جاءنا منه هذان الرجلان؟!

القمري ٢: إذا كان حقًّا هو كل هذا.

القمري ١: ما مستقبله إذن؟

القمري ٢: إذا كان مستقبله، كما سمعنا، هو شبابه ... وإذا كان شبابه انقلب إلى قنبلة تدمر نفسها.

القمري ١: ربما استطاعت معجزة أن تصلح الأمور.

القمري ٢: هذا لا شأن لنا به ... كلُّ مهمتنا أن نسمع ونرى ونُقدِّم تقريرنا.

القمري ١: فلنُسرِع بتقديمه إذن.

القمري ٢: إذن فلنَعُد إلى قمرنا.

شاعر على القمر

(مكتب مدير عمليات غزو الفضاء ... الحجرة مزدحمة بأجهزة تليفزيونات وتليفونات وآلات وملفات ونحو ذلك ... المدير منهمك في العمل ... تارةً يراقب شاشة تليفزيون ... وتارةً يرفع سماعة تليفون ... ثم يضعها قبل أن يتكلَّم، ويتناول أحد الملفات ويُقلِّب فيه بسرعة ... تدخل عليه السكرتيرة.)

السكرتيرة: إنه مُصِرٌّ على أن تستمع إليه.

المدير: قلتُ لك مستحيل.

السكرتيرة: إن كلامه يبدو معقولًا.

المدير: معقول عندك ... وليس عندي.

السكرتيرة: وما الضرر في أن تناقش طلبه؟! ... ولك أنت بالطبع الرأي الأخير.

المدير: أنا مشغول كما تعرفين ... وقتي ثمين ... وليس لي أن أُضيِّعه في محادثة المجانين!

السكرتيرة: إنه ليس مجنونًا.

المدير: شاعر!

السكرتيرة: نعم ... ومن أنبغ الشعراء.

المدير: كتب في جمالك قصيدة ولا شك!

السكرتيرة: لم يفعل ذلك بعد.

المدير: أهو متزوج؟

السكرتيرة: نعم ... ولكن زوجته لا تفهمه جيدًا.

المدير: أنت وحدك التي تفهمينه؟

السكرتيرة: إنني مُتحمِّسة جدًّا لطلبه.
المدير: وزوجته؟
السكرتيرة: إنها تُعارِضه.
المدير: إنها امرأة عاقلة.
السكرتيرة: أرجوك ... استمع إليه لحظةً!
المدير: أمرك عجيب أيَّتها السكرتيرة!
السكرتيرة: إني موضع ثقتك كما تقول ... ثِقْ بي هذه المرة أيضًا، واسمح له بالمقابلة.
المدير: أمام إلحاحك هذا ... فليكن ... خمس دقائق فقط ... لا أكثر.
السكرتيرة: وهذا يكفي.
المدير: قولي له مُقدَّمًا إني لن أَعِدَه بشيء.
السكرتيرة: طبعًا.
المدير: مُجرَّد استماع.
السكرتيرة: وهو كذلك.

(تخرج السكرتيرة ... ثم تعود بعد قليل مع رجل في نحو الأربعين ... هو الشاعر.)

المدير (يفحصه بعينَيه مليًّا): إني مُصغٍ إليك.
الشاعر: قيل لي إن طلبي مرفوض ... أُريد أن أعرف ما هي الأسباب؟
المدير: ليس لنا أن نُبدي أسبابًا لرفض مثل هذا الطلب الجنوني.
الشاعر: في عصرنا الحاضر، ليس من حق أحد أن يصف عملًا بالجنون! ... إن فكرة غزو الفضاء ذاتها كانت فكرة جنونية!
المدير: نعم ... ولكنَّها قامت على أسس علمية ... أمَّا أن نرسل شاعرًا إلى الفضاء فهذا تخريف!
الشاعر: تخريف؟!
المدير: بالطبع ... لأن الشعر نفسه تخريف ... قل لي ما هو الشعر؟
الشاعر: ألا تعرف ما هو الشعر؟!
المدير: على أي نظرية يقوم؟ ... وفي أي معمل تُجرَى تجارِبه؟ ... وإلى أين يؤدي؟!

الشاعر: لا أحب أن أُضيِّع وقتك في الكلام عن الشعر ... إنه، بهذا المقياس، لا فائدة له!

المدير: إذن، من حقِّي أن أرفض طلبك.

الشاعر: ومن حقي أن أُصِرَّ على السفر إلى القمر.

المدير: أتظنُّ السفر إلى القمر كالسفر بالطائرة إلى مصيف من المصايف ... تتغزَّل هناك على الشواطئ الرملية بالعبارات الشعرية في حسناوات بالمايوهات؟!

الشاعر: مَن يدري؟!

المدير (ينظر في ساعته)**:** أظنُّ وقتي لا يسمح بالإصغاء إلى مثل هذا الحديث أكثر من ذلك.

الشاعر: أريد أن أسافر في الرحلة القادمة التي تُعِدُّون لها ... وسأسافر.

المدير: عجبًا! ... أهذا يحدث هكذا ... بمُجرَّد إرادتك؟!

الشاعر: بل بقرارٍ منك.

المدير: قرار مني؟! ... مني أنا؟!

الشاعر: وسيكون قرارًا تاريخيًّا.

المدير: طبعًا ... لأنه سيُسجِّل تاريخ أول مسئول عن رحلات الفضاء يُدخِلونه مستشفى المجاذيب!

الشاعر: بل سيُدخِلونه التاريخ.

المدير: اسمع ... هل تعرف كيف نُعِدُّ لرحلة إلى القمر؟! ... ومدى الجهد الذي يبذله روَّادُها في تدريباتهم الشاقَّة ... والمهام التي يُكلَّفون بها وتقتضي اليقظة وعدم الانفعال وضبط المشاعر في ظروفٍ خارج نطاق البشرية ... والقدرة على الاستخدام الدقيق للأجهزة العلمية؟!

الشاعر: أعرف ذلك.

المدير: وهل تعرف كم من عشرات الملايين تتكلَّف رحلة إلى القمر؟! ... وأن أي خطأ في الحساب والتقدير يؤدي إلى كوارث؟!

الشاعر: نعم ... أعرف.

المدير: أَوَتعرف أيضًا أن روَّاد الرحلة يُختَارون بدقَّة، وتُجرَى عليهم الاختبارات ... وأنَّ لكلٍّ منهم عملًا مُحدَّدًا عليه أن يُنجِزه بدقَّة كدقَّة الجهاز الذي يستخدمه؛ فإذا غفل لحظةً ارتبكت أعمال الرحلة وتعرَّضت للفشل الرهيب؟!

الشاعر: فعلًا.

المدير: إذن كيف تريد مني أن أُصدِر قرارًا بإرسال شخص يعيش في الخيال ... وليس له عمل محدد؟!

الشاعر: ومع ذلك فهذا الشخص يجب أن يسافر.

المدير: على أيِّ أساس؟ ... وبأيِّ صفة؟

الشاعر: بأهمِّ صفة وأنبل أساس ... بصفة كونه الإنسان الأول الذي يسافر إلى القمر.

المدير: الإنسان الأول؟ ... تقصد من؟

الشاعر: أنا ... أنا الإنسان الأول ... الذي سيذهب إلى القمر.

المدير: أنت؟! ... ألم يَبلُغك خبر الرجال العديدين الذين ذهبوا إلى القمر وعادوا في الرحلات السابقة؟!

الشاعر: عادوا بماذا؟

المدير: بمعلومات علمية على جانب كبير من الأهمية.

الشاعر: فعلًا ... عادوا بما تعود به الأجهزة العلمية ... إنكم، يا سيدي، لم ترسلوا الإنسان ... ولكنَّكم أرسلتم أجهزة في صورة إنسان!

المدير: ماذا تقصد؟

الشاعر: أقصد أن الرجال الذين ذهبوا إلى القمر حتى الآن، كانوا مُجرَّد أجهزة علمية دقيقة ... ولا شيء غير ذلك ... أما الإنسان الحقيقي فلم يذهب بعدُ.

المدير: وهذا الإنسان الحقيقي هو أنت!

الشاعر: بدون شك.

المدير: وماذا ستفعل هناك؟!

الشاعر: أي شيء ... إلَّا أن أكون جهازًا.

المدير: وما الذي ستعود إلينا به؟!

الشاعر: لا أدري ... لن أعود، على أي حال، بمعلومات علمية!

المدير: ربما بقصيدة شعرية!

الشاعر: ليس هذا بضروري ... المهم القلب الذي يشعر.

المدير: القلب؟!

الشاعر: نعم ... وهو الشيء الذي لا تستطيعه الأجهزة!

المدير: بديهي ... الأجهزة لا شأن لها بهذا.

الشاعر: إذن، اعترِف بأن الإنسان لم يذهب بعدُ إلى القمر!

المدير: وأخيرًا؟!

الشاعر: لا بد أن تُرسِلني إلى هناك.

المدير: أُرسِلك؟!

الشاعر: وقرارك بإرسالي سيكون — كما قلتُ لك — قرارًا تاريخيًّا سيُسجَّل لك بالفخر.

المدير: فلنتكلَّم بعقل ... افرض أني اقتنعتُ بما تقول ... كيف السبيل إلى تنفيذ ذلك عمليًّا؟!

الشاعر: ماذا تعني؟!

المدير: أعني من الذي يتحمَّل مسئولية سلامتك واحتمالك لمخاطر الرحلة؟!

الشاعر: أنا المسئول عن نفسي، وأكتب لك إقرارًا بذلك.

المدير: هذا لا يكفي.

الشاعر: إني مستعدٌّ للقيام بالتدريبات والاستعدادات التي يقوم بها الرواد ... مهما تَكُن شاقة ومرهقة.

المدير: إذن لا بد أن أضمَّك رسميًّا إلى قائمة المرشحين.

الشاعر: أكون شاكرًا.

المدير: طبعًا باعتبارك رائدًا لا شاعرًا.

الشاعر: فليَكُن.

المدير: سأُدبِّر الأمر بالطبع حتى لا يُعتمد عليك كثيرًا في أعمال مُعقَّدة.

الشاعر: إذن توافقون على سفري؟

المدير: اترك لي فرصةً أبحث الأمر.

الشاعر: ستبحث جديًّا ... أو هي طريقة للتخلص؟

المدير: سأبحث جديًّا.

الشاعر: إني أُصدِّقك ... وأشعر بأنك صادق.

المدير: نعم ... صدِّق.

الشاعر: أشكرك ... ولن أنسى لك هذا الفضل.

المدير (يمُدُّ إليه يده)**:** إلى اللقاء.

(على سطح القمر ... المركبة القمرية وقد هبطت واستقرَّت على التراب ... يخرج منها ثلاثة أشخاص في ثياب الفضاء ... اثنان يشرعان في إخراج الأجهزة، تمهيدًا لجمع عينات من الأحجار والصخور ... أما الثالث، فبمُجرَّد وضع قدمه على السطح يقف جامدًا مشدوهًا.)

الرائد الأول: قل لصاحبنا هذا يتحرَّك قليلًا.

الرائد الثاني: لا فائدة من المحاولة.

الرائد الأول: ما الذي يجعله يتجمَّد هكذا؟

الرائد الثاني: هذا الذي كان يحدث له طول الرحلة.

الرائد الأول: الدهشة والذهول!

الرائد الثاني: من كل شيء حولنا ... مع أن كل شيء يسير على ما يُرَام ... طبقًا للبرنامج المرسوم.

الرائد الأول: ولم يحدث أيُّ خلل في الأجهزة ... ولا أيُّ انحراف في خط السير.

الرائد الثاني: فلنتركه إذن جامدًا يُحمِلِق هكذا، ولْنَقُم نحن بالمهام الملقاة علينا.

الرائد الأول: أخشى أن يكون مريضًا!

الرائد الثاني: لا ... ليس إلى هذا الحد.

الرائد الأول: كيف سمحوا لمثله بالرحلة؟!

الرائد الثاني: ومع ذلك فقد تدرَّب معنا التدريب الكافي ... ولم يَبْدُ عليه شيء غير عادي.

الرائد الأول: ولكن ما كدنا نخرج عن جاذبية الأرض ... ويرى الأرض تبتعد ... ويصغر حجمها، حتى لمعت عيناه ببريق غريب ... ولم يصبح الشخص العادي.

الرائد الثاني: إنه، على كل حال، زميل لطيف.

الرائد الأول: لست أُنكِر ذلك ... كلُّ ما أرجوه أن يكون بخير.

الرائد الثاني: لعلَّه يُفيق بعد قليل ... فلنتركه الآن ... ولنذهب إلى أعمالنا.

الرائد الأول: هلمَّ بنا ... فلنشغِّل أولًا أجهزة تسجيل درجات الحرارة ... والضغط الجوي ... ونثبِّت الكاميرات ... قبل أن نفحص الصخور والأحجار ونأخذ عينات.

(يبتعد الرائدان بآلاتهما ... ويبقى الثالث في جموده بلا حراك ... ولا يلبث أن تحيط به أضواء خافتة ذات ألوان ... وتَرِفُّ من حوله موسيقى حالمة رقيقة ... ثم تُسمَع أصوات تطوف به ... هادئة مُنغَّمة لطيفة.)

صوت ١: ليس مثل الآخرين.
صوت ٢: ليس من جامعي الحجر.
صوت ٣: لم نَرَ مثله على القمر.
صوت ٤: مَن يكون؟
صوت ١: أهو من الأرض جاء؟
صوت ٢: فيه شيء منَّا.
صوت ٣: إنَّه هذا الصفاء.
صوت ٤: مَن يكون؟
صوت ١: عينه تُلوِّن الصخور.
صوت ٢: من قلبه يَشِعُّ نور.
صوت ٣: إنه يسمعنا.
صوت ٤: مَن يكون؟
صوت ١: إنه يحسُّ بنا.
صوت ٢: بحفيف أجنحتنا.
صوت ٣: إنه يعرفنا.
صوت ٤: مَن يكون؟
صوت ١: يعرفنا ولا يرانا.
صوت ٢: شيء فيه يرانا.
صوت ٣: ليست عيناه ككل العيون.
صوت ٤: مَن يكون؟
صوت ١: يريد أن يرانا.
صوت ٢: كيف نتجلَّى له.
صوت ٣: دون أن يصيبه جنون.
صوت ٤: من يكون؟
صوت ١: فلنظهر له ككائنات.
صوت ٢: مُحبَّبة له مألوفة.
صوت ٣: ونُحادِثه بلغته المعروفة.
صوت ٤: لنعرف مَن يكون.

(ظلام ... ثم برق ... الضوء البنفسجي الوردي ... ويمتلئ المكان حول الشاعر الجامد بكائنات في صورة بشرية لطيفة ... لا هي بالذكور ولا بالإناث ... تحيط به في شِبه رقص.)

الكائن ١: أنتركه في ثيابه الثقيلة؟
الكائن ٢: ورأسه السجين في خوذة الفضاء؟
الكائن ٣: ليَكُن مثلنا لا يحتاج إلى هواء.
الكائن ٤: وليخرج حرًّا كالفراشة.

(يُجرِّدونه من ثياب الفضاء ... وعندئذٍ يبدو وكأنَّه يُفيق من نوم عميق ... ويُحرِّك ذراعَيه ... يتنهَّد كمن تخلَّص من كابوس.)

الشاعر: من أنتم؟! ... وأين أكون؟
الكائن ١: نحن مَن أردتَ أن تراهم؟
الشاعر: نعم ... في أغوار نفسي أردت.
الكائن ٢: نحن نبدو لك كما تريد أن نكون.
الشاعر: نعم، نعم ... عرفتُكم.
الكائن ٣: كنا على ثقةٍ أنك تعرفنا.
الشاعر: وسمعتُ أصواتكم.
الكائن ٤: كنَّا نعلم أنك تسمعنا.
الشاعر: كهفيف أجنحة النحل فوق زهر البرتقال.
الكائن ١: سمعتَنا هكذا؟!
الشاعر: بل كفراشات حول نور.
الكائن ٢: لماذا لا يسمعنا الآخرون؟
الشاعر: مَن تقصدون؟
الكائن ٣: من جاءوا قبلك ويجيئون.
الشاعر: يستمعون إلى صوت أجهزتهم.
الكائن ٤: أجهزة تذبح السكون.
الكائن ١: سفَّاكُون!
الكائن ٢: لَّامُو صخور!

الكائن ٣: من جوارح الصقور.

الشاعر: لا يعرفون الإصغاء إلى همس السكون.

الكائن ٤: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

الشاعر: صداقة قديمة للقمر.

الكائن ١: منذ متى؟!

الشاعر: منذ طفولتي ... كنت أراه يَبسِم لي فأبسِم ... ويَعبِس فأعبِس ... ويضحك فأضحك ... ويهرب مني خلف سحابة ... فأتربَّص به حتى يظهر ... فما يكاد يُبصِرني حتى يعود إلى الهرب ... مختفيًا بين السحب ... إنه يراوغني ... إنه يلاعبني ... وأنا لا أسأم هذا اللعب ... حتى يوغل الليل ... وأهلي ينادونني للنوم فلا أحفِل بهم ... إلى أن يتأكَّد لي أنَّ صديقي اللعوب قد ترك اللعب معي ... لعبة الاختفاء خلف ستائر الغمام، وذهب هو أيضًا لينام.

الكائن ٢: أكنتَ تلعب معه هكذا وأنت على الكوكب الآخر؟!

الشاعر: نعم ... ولكن وقتئذٍ لم أَكُن أعرف أنكم هنا ... كنتُ أتصوَّر القمر وحيدًا مثلي ... لا يجد من يُحادِثه ويُلاعِبه غيري.

الكائن ٣: والآن ... وقد رأيتنا؟!

الشاعر: يُخيَّل إليَّ أني كنتُ أعرفكم دائمًا ... وسبق لي أن رأيتُكم هكذا في أحلامي.

الكائن ٤: نحن أيضًا.

الكائن ١: حقًّا ... نحن أيضًا نشعر كأنَّك صديق قديم.

الشاعر: أريد أن أعرفكم أكثر وأكثر ... كيف تعيشون هنا؟

الكائن ٢: كما ترى.

الشاعر: في غناء وهناء؟

الكائن ٣: دائمًا.

الشاعر: وحب؟

الكائن ٤: وحب.

الشاعر: مَن مِنكم الذكر ومَن منكم الأنثى؟

الكائن ١: ما هذا الذي تقول؟!

الشاعر: أقصد النوعَين.

الكائن ٢: أيُّ نوعَين؟!

الكائن ٣: لا يوجد هنا غير نوع واحد ... نحن.

الشاعر: نوع واحد؟!

الكائن ٤: أتعجب لهذا؟!

الشاعر: إني أسأل.

الكائن ١: كان هنا بالفعل نوعان ... فيما مضى من الزمان.

الشاعر: ذكر وأنثى؟

الكائن ٢: نعم ... هذا الذي تقصد.

الكائن ٣: ولكن ذلك مضى ... مضى.

الكائن ٤: منذ زمن سحيق ... منذ أن كان هنا زمن.

الشاعر: عجبًا! ... أَوَلَا يوجد الآن هنا زمن؟! ... اعذروني إذا سألت!

الكائن ١: اسأل ما شئتَ ... ما دمتَ لنا صديقًا.

الكائن ٢: لن نُخفِي عنك شيئًا.

الكائن ٣: نحن نعلم أنك قادم من كوكب مختلف.

الكائن ٤: كوكب مخيف!

الشاعر: لا زمان ولا نوعان.

الكائن ١: كان هنا نوعان ... ولكن كل نوع كان يُناقِض الآخر ... ويحسده على مزاياه ... ويريد التشبُّه به ... وأخذ يقترب الواحد من الآخَر ... إلى أن تلاشت الفوارق واتَّحدا في شكل واحد.

الكائن ٢: وكان هذا آخِر العهد هنا بالاختلاف.

الكائن ٣: والخلاف.

الكائن ٤: وعشنا في ائتلاف.

الشاعر: وكيف تتوالدون؟

الكائن ١: لا ميلاد ولا ممات.

الكائن ٢: نحن طاقاتٌ من فكر وشعور.

الكائن ٣: تتبدَّد وتتجدَّد من تلقاء الذات.

الكائن ٤: كالضوء والنور.

الشاعر: أو كالروح، كما نقول نحن أهل الأرض، وربما كنتم أنتم أرواحنا الصاعدة ... لذلك نُحبُّكم دون أن ندري ... وتتطلَّع عيوننا إلى هذا القمر ... نستلهمكم ونناجيكم ... ونغني معكم.

الكائن ١: نحن أيضًا نتطلَّع إلى كوكبكم الجميل.
الكائن ٢: ها هو ذا ياقوتة كبيرة في منديل.
الكائن ٣: ياقوتة زرقاء في كفِّ السحاب.
الكائن ٤: يملؤنا فزع منه وإعجاب.

(يلتفتون جميعًا إلى قرص الأرض وقد طلع في الأفق متألقًا.)

الشاعر:

نعم ... جميلة هي أرضنا.
وفي هذا الوادي الأخضر بيتنا.
والماء الجاري في السهول.
وسنابل القمح في الحقول.

الكائن ١: لكأنَّك ترى كل ذلك من هنا.
الشاعر: كل بقعة في أرضنا أراها من هنا ... وزقزقة العصفور أسمعها هنا.
الكائن ٢: وبحار الدم نراها من هنا.
الكائن ٣: وتنهُّدات الهمِّ نسمعها هنا.
الكائن ٤: وصرخات الرعب تُفزِعنا هنا.
الشاعر: نعم ... وا أسفاه!
الكائن ١: ليت كلَّ الناس هناك مِثلُك.
الشاعر: كثيرون هناك طيبون وأبرياء.
الكائن ٢: ومَن الذي يصُبُّ على الأرض البلاء؟!
الكائن ٣: ومَن الذي يترك فيها الجياع؟!
الكائن ٤: ويبذر فيها سوء الطباع ... وضراوة السباع؟!
الشاعر: نعم ... وا أسفاه! ... هذه القارَّات في أرضنا بأطرافها السفلى المُدبَّبة كأنَّها العناقيد المُدلاة.
الكائن ١: لكنَّ اللون الأحمر هناك ليس النبيذ!
الكائن ٢: من يُصدِّق أن هذه الياقوتة الواحدة مُفتَّتة الأجزاء؟!
الكائن ٣: بين كل جزء وجزء حدود وسدود.

الكائن ٤: من الأطماع والعدوان والظلم والبغضاء!

الشاعر: لحسن الحظ أن هذا القمر يحتفظ بكتلته المتحدة.

الكائن ١: تُرى، لو حضرتم هنا، يا أهل الأرض، جماعات من دول وشعوب مختلفة منقسمة، هل تحتفظون لقمرنا هذا بوحدته ... أو تُفتِّتونه هو أيضًا إلى أجزاء؟

الكائن ٢: كل جزء يُناصِب الآخَرَ العداء.

الكائن ٣: ويذبح السلام بسكِّين.

الكائن ٤: السلام الذي عرفناه طوال الزمان ... وبحارنا الشاسعة من الرمال التي لا موج فيها ولا أنين.

الكائن ١: وأديمنا الذي لم يعرف آثار الأقدام.

الكائن ٢: وبراكيننا برد وسلام.

الكائن ٣: وَضوءُنا على أرضكم هالة ذهبية تُظلِّل الحب ...

الكائن ٤: وتَنسُج الأحلام.

الجميع: ولقمرنا وجه واحد ينظر به إلى أرضكم ويقول: إني ثابت على مبدأ واحد هو السلام.

الشاعر: كفى ... كفى ... كفى!

(يصيح الشاعر ... ويعُمُّ الظلام فجأةً ... وعندما يعود الضوء تكون الكائنات القمرية قد اختفت ... وكل شيء عاد كما كان ... والرائدان بقُرب الشاعر ... يحملان ما جمعاه من صخور.)

الرائد الأول: إنه لم يزل واقفًا جامدًا كما تركناه.

الرائد الثاني: ألم يُفِق بعد؟

الرائد الأول (للشاعر)**:** هل أنت بخير؟

الشاعر: نعم.

الرائد الثاني: استعِدَّ إذن ... فقد حان وقت العودة.

الشاعر: العودة؟!

الرائد الأول: إلى الأرض.

الشاعر: الأرض؟!

الرائد الثاني: نعم ... لقد انتهت مهمَّتنا هنا.

الرائد الأول: وجئنا بمعلومات ونتائج سيدهش لها العالم.
الرائد الثاني: إن هذا القمر هو مخزن كنوز لا حصر لها.
الشاعر: كنوز!
الرائد الأول: لقد جمعتُ صخورًا تَلمَع بالذهب الخالص.
الرائد الثاني: وما جمعتُه أنا من صخور تَبرُق بالماس النفيس.
الرائد الأول: ولم يَعُد لدينا شكٌّ أن كلَّ المعادن متوفِّرة هنا بكثرة مذهلة.
الرائد الثاني: حتى النادرة، مثل اليورانيوم والراديوم.
الرائد الأول: علاوةً على معادن أخرى مجهولة لنا ... وغير معروفة في كوكبنا.
الرائد الثاني: ومَن يدري ماذا كنَّا نجد أيضًا لو استطعنا الهبوط من فوهة بركان من هذه البراكين إلى القاع.
الرائد الأول: فلنترك هذه المهمَّة لَمن يأتي بعدنا ... والآن، هلمَّ نُعلِن إلى العالَم خبر هذه الثروة العظيمة.
الرائد الثاني: إلى العالَم؟! ... أو إلى دولتنا وحدها؟!
الرائد الأول: إلى دولتنا وحدها بالطبع ... عندما أقول العالم فإني أقصد دولتنا.
الرائد الثاني: يجب أن نكتم الأمر إذن ... وأن يبقى الأمر سرًّا ... لأن الأمر لو شاع لتكالبت الدول الأخرى على هذه الكنوز.
الرائد الأول: بالطبع ... يجب أن نكتم ذلك ... وإن كنت أشكُّ في إمكان الاحتفاظ طويلًا بأي سرٍّ في دولة واحدة.
الرائد الثاني: يكفي أن يكون كلٌّ منا على حذرٍ في محيطه ... فأنا مثلًا لن أَفُوهَ بكلمة ... حتى ولا لزوجتي.
الرائد الأول: يجب أن نُقسِم على ذلك.
الرائد الثاني: أُقسِم.
الرائد الأول (للشاعر)**:** وأنت؟!
الشاعر: أُقسِم على ماذا؟
الرائد الثاني: على عدم البوح بسرِّ هذه الكنوز لأحد.
الرائد الأول: إلَّا للمسئولين.
الشاعر: ولا للمسئولين ... هذه الكنوز يجب أن تبقى هنا ... في مكانها.
الرائد الثاني: ماذا تقول؟!

الشاعر: وهذه النماذج من الصخور التي معكما، لا ينبغي أن تذهب إلى كوكبنا الأرضي.

الرائد الأول: ما هذا الكلام؟!

الشاعر: هذا لا بد منه ... إذا كنتم تريدون أن يبقى هنا على القمر سلام.

الرائد الثاني: نعود بغير هذه الصخور؟!

الشاعر: نعم.

الرائد الأول: يجب أن نعود بها.

الشاعر: إنكم تعودون بكارثة!

الرائد الثاني: أتُسمِّي هذه الثروة كارثة؟!

الشاعر: نعم ... إنها الوقود لنار جديدة ... ستشتعل هنا على القمر ... هذا المكان الذي لم يعرف غيرَ الهدوء.

الرائد الأول: أَوَتظنُّ أننا جئنا إلى هذا المكان الهادئ لُمجرَّد النزهة والاستجمام؟!

الرائد الثاني: أو لأخذ حمام شمس على شاطئ بحر الرمال؟!

الشاعر: تريدون أن يحدث هنا ما حدث في الهند يومَ ذهب إليها الباحثون عن التوابل فإذا هم يستعمرونها استعمارًا ... وكما حدث في أمريكا يوم جاءها الباحثون عن الذهب فأبادوا أهلها إبادة؟!

الرائد الأول: اطمئن! ... ليس هنا سكَّان لاستعمارهم ... ولا كائنات لإبادتها!

الشاعر: مَن أدراكم؟

الرائد الثاني: ماذا تقصد؟!

الشاعر: أقصد لو فُرِض وكانت هنا كائنات ... أتضمنون لها أن تبقى في هدوء؟!

الرائد الأول: ليس من مهمَّتنا أن نتحدَّث في فروض.

الرائد الثاني: أَكُلُّ ما تخشاه هو إقلاق راحة كائنات تفترض فرضًا أن لها وجودًا؟!

الشاعر: إن ما أخشاه هو أن يعرف هذا الترابُ البكرُ الطاهرُ لونَ الدماء.

الرائد الأول: أيُّ دماء؟!

الشاعر: دماء البشر ... دماء أهل الأرض ... يوم يجيئون هنا من كلِّ جنس يتقاتلون على هذه الثروات.

الرائد الثاني: إن خيالك واسع.

الشاعر: ليس خيالًا ... ولكنَّها رؤيةٌ لنتيجةٍ محتملة الحدوث ... ويجب التفكير فيها من الآن.

الرائد الأول: ليس من عملنا التفكير في مثل هذا ... عملنا هو أن نكشف بأجهزتنا عن بيانات ومعلومات ... وقد فعلنا.

الشاعر: ولكنَّ عملي أنا هو أن أُفكِّر وأشعر.

الرائد الثاني: ومن كلَّفك بهذا؟!

الشاعر: أنا.

الرائد الأول: أنت كلَّفتَ نفسك؟!

الشاعر: نعم.

الرائد الثاني: أنت مجنون!

الشاعر: ربَّما ... ولكنِّي إنسان.

الرائد الأول: اسمع ... لقد احتملنا منك طول الرحلة ما لا يُمكِن أن يُحتمَل ... وسنُضمِّن تقاريرنا كلَّ هذا الذي لاحظناه عليك ... ولكنَّنا لن نسمح لك بأن تُعرقِل مهمَّتنا.

الرائد الثاني: تعالَ معنا.

الشاعر: لن أتحرَّك من هنا قبل أن تلْقِيا بعيدًا بهذه الصخور الملعونة!

الرائد الأول: نرجوك ... كن عاقلًا.

الرائد الثاني: قدِّر المسئولية!

الشاعر: قدِّروا أنتم مسئوليتكم أمام ضميركم!

الرائد الأول: تريد منا أن نحرم أهل الأرض من ثروات ضخمة؟!

الشاعر: لو كانت هذه الثروات ستُوزَّع على أهل الأرض جميعًا لكنتُ معكم ... ولَمَا وقفتُ هذا الموقف ... ولكنَّ هذه الثروات سيُحرَم منها أكثر أهل الأرض، وسيظلُّون كما هم في جوعهم ... بينما تُتخَم بها بطونٌ، وتزداد بها قوةً وسيطرةً.

الرائد الثاني: وما هو الحل إذن؟

الشاعر: الحل كما قلتُ لكم ... لا تثيروا الجشع في النفوس الآن ... ولا تُحرِّكوا روح الشر والعدوان ... فتتجدَّد أخطار الدمار ... قبل كل شيء، يجب أن نعمل على أن يسود كوكبنَا الأرضيَّ العدلُ والإخاء.

الرائد الأول: وإلى أن يتحقَّق هذا؟!

الرائد الثاني: ندفن هذه الكنوز هنا؟! ... أهذا ما تتصوَّر؟!

الشاعر: هذا ما يجب أن نفعل.

الرائد الأول: نحن نرفض هذا الرأي.

الرائد الثاني: كل الرفض ... لأنه حماقة.

الشاعر: كلٌّ منا حرٌّ في رأيه ... لستُ من رأيكم ... تصرَّفوا كما تشاءون.

الرائد الثاني: سنعود الآن بما نحمل إلى المركبة القمرية.

الشاعر: عودوا.

الرائد الأول: وأنت؟

الشاعر: لن أعود معكما.

الرائد الثاني: أستبقى هنا؟

الشاعر: نعم.

الرائد الأول: تبقى وحدك هنا على القمر ... ونعود — نحن الاثنين — إلى الأرض؟! ... بدونك؟! ... أهذا معقول؟!

الشاعر: لن أعود معكما وهذه الصخور معنا.

الرائد الثاني: لا يُمكِننا أن نُلقِي بها بعد أن جمعناها.

الرائد الأول: إنك تطلب منَّا الإخلال بواجباتنا.

الشاعر: إني أطلب منكما الخيار بين أمرَين: إمَّا أن تُلقِيا بهذه الصخور، وإمَّا أن تُلقِيا بي.

الرائد الأول: هذا اختيار عسير!

الرائد الثاني: لا نستطيع أن نُلقِي بك ولا بهذه الثروة.

الشاعر: وأنا لن أتحرَّك من مكاني هذا.

الرائد الأول: ونحن لا نستطيع العودة إلى الأرض بدونك.

الشاعر: ولِمَ لا؟

الرائد الثاني: ماذا نقول لهم هناك؟!

الشاعر: قولوا أيَّ شيء ... قولوا إني فُقِدت منكم.

الرائد الأول: فُقِدتَ أين؟ ... وكيف؟

الرائد الثاني: خطواتنا هنا محسوبة.

الشاعر: أليس من المُحتمَل أن أموت هنا؟!

الرائد الأول: في هذه الحالة، لا بد من حمل جثمانك معنا.

الشاعر: وإذا طلبتُ أن أُدفَن في القمر؟

الرائد الثاني: نتَّصل بالمتابعة الأرضية لطلب التصريح بذلك من ذويك.

الشاعر: لن تستطيعا حملي بالقوة معكما.
الرائد الأول: نرجو ألَّا تُلجِئنا إلى استخدام القوة.
الشاعر: أهو تهديد؟!
الرائد الثاني: أنت الذي تتحدَّى!
الشاعر: فليُحاوِل أحدكما أن يلمسني!
الرائد الأول: ماذا ستفعل؟
الشاعر: سأدافع عن نفسي.
الرائد الثاني (ينتحي بالرائد الأول هامسًا)**:** وما العمل الآن؟
الرائد الأول: لم يَبْقَ لنا إلَّا أن نتصل بالمتابعة الأرضية، ونعرض عليها الأمر.
الرائد الثاني: هذا موضوع خطير.
الرائد الأول: أهناك حلٌّ آخَر؟!
الرائد الثاني: ماذا سيقولون على الأرض؟! ... هذه أول مرة يحدث فيها شيء كهذا في الفضاء الخارجي ... خلاف وشجار يقع بين رواد الفضاء على سطح القمر؟!
الرائد الأول: ومَن السبب في ذلك؟!
الرائد الثاني: لا يهمُّ ... إنها فضيحة للرحلة كلها!
الرائد الأول: وهل نترك هذا المجنون يُفسِد هذه الرحلة بتصرُّفاته الحمقاء؟!
الرائد الثاني: هذه التصرُّفات نضعها — كما قلنا — في تقرير سري ... أمَّا أمام العالم، فلا بد من إنقاذ سمعة رحلةٍ هي أهمُّ رحلات الفضاء حتى الآن.
الرائد الأول: لو استطعنا أن نُفاجِئه بلطمةٍ تُفقِده صوابه ... ثم نحمله معنا رغمًا عنه ...
الرائد الثاني: ليس هذا بالأمر السهل.
الرائد الأول: حقًّا!
الرائد الثاني: ومع ذلك ... فلنُحاوِل.
الرائد الأول: نعم ... فلنُحاوِل ... ليس أمامنا سبيل آخر.

(يلتفتان إلى الشاعر ... ويخطوان نحوه خطوةً ... ولكنهما يقفان في دهشة.)

الرائد الثاني: انظر ... إنه يُحرِّك شفتَيه ... كمَن يخاطب أحدًا.
الرائد الأول: يُخاطِب مَن؟

الرائد الثاني: لا أدري ... انظر إلى عينَيه.
الرائد الأول: كأنهما تُحدِّقان في شيء ماثل أمامه.
الرائد الثاني: إنه لا يشعر بوجودنا.
الرائد الأول: لعلَّها اللحظة المناسبة لمُفاجأته باللطمة.
الرائد الثاني: فلننتظر قليلًا ... ولنراقبه.

(صوت الكائنات ... يسمعه الشاعر فقط ولا يسمعه الرائدان.)

صوت ١: نراك ونسمعك وأنت تُجاهِد لتمنع عنَّا بلاء البشر.
الشاعر: ولكنَّ صوتي ضعيف.
صوت ٢: اصمُد واستمِر.
الشاعر: أخشى أن يغلبوني ويذهبوا بي إلى الأرض بكنوز الدمار.
صوت ٣: اذهب معهم إلى أرضك واصمُد واستمِر.
الشاعر: لن أستطيع منعهم ... ولا بموتي.
صوت ٤: لن تموت ... اصمُد واستمِر.
الشاعر: إذا عدتُ إلى أرضي فأنا معكم، ولن أنساكم.
الكائنات (جميعًا)**:** ونحن معك، ولن ننساك، وداعًا ... وداعًا!
الشاعر: وداعًا ... يا أرقَّ الكائنات!

(يشير الشاعر بيده كالمُودِّع ... ويتحرَّك.)

الرائد الأول: إنه يتَّجه إلى المركبة القمرية.
الرائد الثاني: إلى أين تذهب؟
الشاعر: إلى الأرض.

(يمشي الرائدان خلف الشاعر نحو المركبة القمرية في صمت.)

(على سطح الأرض ... في مكتب مدير عمليات غزو الفضاء ... المدير يقرأ تقريرًا.)

(السكرتيرة تدخل.)

السكرتيرة: إنهم في الخارج ... ينتظرون.

المدير: لحظة ... حتى أقرأ التقرير.
السكرتيرة: والبرقيات؟
المدير: انتظري ... يظهر أن صاحبك الشاعر قد أتى هناك بتصرُّفات حمقاء.
السكرتيرة: في نظر مَن؟
المدير: وأنتِ التي كنت تُلحِّين في إرساله.
السكرتيرة: وماذا حدث؟ ... هل فشلت الرحلة؟
المدير: بالعكس ... جاءت بنتائج باهرة ... لم تكن في الحسبان.
السكرتيرة: جاءت بكنوز؟
المدير: نعم ... ولكن ... هذا الشاعر!
السكرتيرة: إنه أحد أعضاء الرحلة.
المدير: أنتركه بدون اتخاذ أيِّ إجراء؟
السكرتيرة: إجراء؟!
المدير: تصرُّفاته ...
السكرتيرة: كانت مُتوقَّعة.
المدير: أَكُنتِ إذن تتوقَّعين.
السكرتيرة: وأنتَ أيضًا ... ما دام شاعرًا ... لا بد أن يكون مختلفًا عن الآخرين.
المدير: تريدين أن تجُرِّيني معك إلى ...
السكرتيرة: هل سمعتَ منه؟ ... ألا يحسُن أن تسمع أقواله؟
المدير: وهو كذلك ... أدخليه.

(السكرتيرة تفتح الباب وتُشير بيدها فيدخل الشاعر مندفعًا.)

الشاعر: سيدي المدير ... أرجوك!
المدير: تكلَّم.
الشاعر: هذه الكنوز يجب أن تبقى في طيِّ الكتمان الشديد ... أيُّ تسرُّب لخبرها سيُحدِث كارثة!
المدير: كارثة!
السكرتيرة: أخشى أن يكون شيء قد تسرَّب ... هذه البرقيات الكثيرة ... غير عادية.
المدير: برقيات؟! ... اقرئي.

السكرتيرة (تفضُّ البرقيات): شركات ومؤسسات من أنحاء العالم ... تستفسر عن محتويات عينات الصخور الواردة من القمر.

الشاعر: إذا عرف العالم هذه المحتويات فسوف يقع ما حسبته ... لم أَكُن أريد لهذه الكنوز أن تأتي هنا.

المدير: ولهذا أحدثتَ ذلك الشجار هناك؟

الشاعر: نعم ... وسأصمد ... وسأستمر.

المدير: تستمر في الشجار؟!

الشاعر: في الدفاع عن رأيي.

المدير: ليس كلُّ الناس من رأيك ... هذه الكنوز على القمر هي ثروة لبلدك ... لدولتك.

الشاعر: لدولتي وحدها؟!

المدير: طبعًا.

الشاعر: وبقية البشر؟!

المدير: أيُّ بشر؟!

الشاعر: ألا يوجد بشر آخرون غيرنا في بلاد أخرى؟!

المدير: وما دخلهم هم؟!

الشاعر: أليس لهم حقٌّ في هذه الثروة؟

المدير: وهل هم الذين جاءوا بها؟!

الشاعر: إذن هي لنا وحدنا؟!

المدير: هذا طبيعي ... وإلَّا ما كنَّا قمنا بهذه المجهودات ... وما كنتم أنتم ركبتم هذه المخاطر.

الشاعر: هذه نهاية الرحلة إذن.

المدير: وكانت رحلة مُوفَّقة ... فتحت لنا باب ثراء مُتدفِّق.

الشاعر: عونًا يا أهل القمر ... عونًا!

الكائنات (في صوت لا يسمعه غير الشاعر): نحن معك دائمًا ... معك.

(جرس التليفون يرن.)

المدير (يرفع السماعة): معمل التحليل ... آه ... أنا هو المدير ... ماذا تقولون؟! ... نتيجة الفحوص سلبية ... صخور عادية ... تراب زجاجي ... شكرًا.

السكرتيرة: تراب زجاجي؟!
المدير: مواد زهيدة ... لا كنوز ولا ثروة هناك.
الشاعر: بوركتم يا أصدقائي.
المدير (في دهشة وذهول)**:** يُخاطِب مَن؟!
الشاعر: بوركتم يا أطهر الكائنات!

بيان

هذه المسرحيات الثلاث جُمِعت هنا معًا في كتاب واحد لأنها تحمل معنًى واحدًا: هو طلب العدل والسلام في الأرض والسماء.

إنها صرخةٌ فوق أرضنا المُلوَّثة بالظلم والدم، وفوق القمر النقي الطاهر حتى الآن، وهو يرقب في خشيةٍ ورجاءٍ قدومَ الإنسان.

ت. ا.

هنـــداوي